

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد



كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

الحرية في عصر المراقبة الوبائية وتأثير الذكاء الاصطناعي على
الخصوصية

- قراءة في فكر زغموند بلومان -

تحت إشراف الأستاذة:

د. بن سهلة يمينة

من إعداد الطالبة:

سنوسي شيماء

لجنة المناقشة

أ. بلحمم نجة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران-02
د. بن سهلة يمينة	أستاذ محاضر-أ-	مشرفا ومقررا	جامعة وهران-02
أ. يموتن علجية	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران-02

السنة الجامعية:

2025/2024

شكر و تقدير

إن كان للشكر معنى حقيقي في الفعل فهو لله تعالى في المبتدأ والمنتهى، ومن أفضل ما سئل الله - عز وجل - حبّه، وحبّه من يحبّه، وحبّه عمل يقرب إلى حبّه. فيا ربي لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا. لا يسعني في هذا المقام العلمي إلا أن أتقدم بخالص الشكر، والعرفان إلى الأستاذة المشرفة " د. بن سملة يمينه " التي كانت صبورتي في توجيهي، وتقديم أهم المعلومات الفلسفية، والمصادر الفكرية والملاحظات المنهجية.

كل الشكر والتقدير للأستاذة بن سملة يمينه على منحي شرف الإنتماء لعالم الابتكار في حقل المقاولاتية من خلال توجيهاتها وحرصها الشديد على اكتساب الفكر المقاولاتي إلى جانب الحكمة الفلسفية لتكون النتيجة فوز بالمركز الأول من خلال براءة الاختراع ومشروع مؤسسة ناشئة **TIGER** **TIRBO**.

أقدم شكري، وتقديري إلى كل أعضاء اللجنة العلمية المناقشة لهذه المذكرة، والتي أتشرف بالإقتداء بنصائحهم، وإرشاداتهم العلمية والمنهجية وأعدهم بالعمل بها.

أقدم شكري، وتقديري إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة، الذين كان لهم الفضل في تعليمي، وفتح الآفاق العلمية التي ساعدتني على بناء ذاتي، وفكري من التصور الفلسفة إلى الممارسة الفلسفية.

أجدد شكري، وعرفاني لجميع أفراد الطاقم الإداري للقسم، وطلبة قسم الفلسفة.

الإهداء

إلى من غرست روح المعاني في النفوس "أمي الغالية"

إلى من علّمني الفضيلة، وتقدير الذات "والدي العزيز".

إلى رفيقة دربي، ومن شاركتني لحظات الدراسة بكل تفاصيلها، من

جد وتعب، إلى ، (بوعناني أسماء) كنتِ خير سند وعمود، وخير

رفيقة تحث على المثابرة والاجتهاد، صاقتنا كانت وستظل دافعاً

قوياً نحو تحقيق الأهداف، وستبقى ذكرياتنا الأكاديمية محفورة

في الذاكرة.

خَتَامًا، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ إِضَافَةً مُتَوَاضِعَةً لِلْمَكْتَبَةِ
الْعِلْمِيَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ نَفْعًا لِي وَالْآخَرِينَ.

مُقَدِّمَةٌ

يصنّف الإنسان من بين أهم وأعقد الإشكاليات الفلسفية التي أثارت الجدل والنقاش بين مختلف التيارات العلمية، والفكرية، والفلسفية باعتباره أرقى موجود ضمن الوجود بما هو موجود لامتلاكه **ملكة العقل**، ملكة التفكير والإبداع، هذه الأخيرة التي ميزت تطور مساره الفكري ضمن صيرورة مراحل تعكس قوة الفكر البشري في تجاوز الأزمان والحضارات مروراً بعدة مراحل وعصور منذ قبل الميلاد إلى يومنا هذا، ما ولدّ لديه رؤى فكرية وحضارية يهدف من خلالها إلى إثبات وجوده وإستقلاليته، نتيجة لهذه التراكمات المعرفية، والدينية، والسياسية والإقتصادية نتجت جملة من التصورات دفعت الفكر البشري إلى التقدم والإبداع خاصة خلال عصر حداثة وما بعد الحداثة ضمن ديناميكية تعود أصولها إلى القرن الخامس عشر للميلاد وصولاً إلى القرن 19م.

لكنلم تكن الحداثة وليدة عصر واحد وإنما ظهرت تديريجياً من خلال العوامل التي ساهمت في إنتشارها من بينها النهضة الأوروبية والإكتشافات الجغرافية وخاصة الثورات العلمية، والصناعية التي ساهمت في ظهور عدة إختراعات وإبتكارات يهدف من خلالها الإنسان السيطرة على الطبيعة وإخضاعها له بواسطة العلم ومناهجه، إلاّ أنه تغالت أهدافه وطموحاته وراح يبحث عن سبل أخرى أكثر عملية لتبسيط حياته، فإنتقل من العلوم التأملية إلى العلوم التقنية وإهتم بمجال التكنولوجيا والتقنية، إلاّ أنه صنع حرب ضد نفسه نتاج الحداثة العلمية التي غيرت من مفهوم العلاقات الإجتماعية، خاصة أمام رهانات وتحديات الثورة التكنولوجية والسلطة الرقمية التي جعلت المجتمعات المعاصرة اليوم تعرف بالمجتمعات الرقمية تقوض جميع الخصوصيات الثقافية والإجتماعية وكذا الحدود الجغرافية ليصبح العالم قرية كونية مفتوحة.

جعل ذلك الإنسان المعاصر يعيش عدة أزمت أهما الأزمة الأنطولوجية التي تختزل ماهيته في حدود الجسم والمادة الفانية، بالإضافة إلى أزمة الانتماء والاختلاف الجوهري بين الحضارات والثقافات أو كما يسميها بيار بورديو الهابيتوس، تعتبر أزمة الإنسان المعاصر من أهم القضايا الفلسفية الراهنة التي أثارت الجدل بين المفكرين والعلماء لأنها ساهمت في تغيير ذهنيات الفكر البشري، وهويته، وعقيدته، وأخلاقه، وبيئته من خلال خوارزمياته التي تتحكم في أعماق وجوهر الإنسان، تترك كل ما يتعلق به لدرجة أنها تسير وجوده ويجهل ذاته أمام سلطة الآلة والتقنية. وهو ما يجبرنا على إعادة طرح السؤال الكانطي: ما الإنسان؟

إن هاجس انسان اليوم هو البحث عن ماهيته بين الواقع العيش والواقع الرقمي الافتراضي، وحرية أمام سلطة التقنية والعقل الآداتي التي اختزلته في ماديته دون اللوغوس، وعلاقاته مع الآخر كونه أصبح يعيش الفردانية والإغتراب وسط المجتمع الذي ينتمي إليه، هذه التطورات جعلت الكائن العاقل يتقطن لأهم مسألة تتعلق بأنطولوجيته وطبيعته الإجتماعية ألا وهي الحرية، فتعدو من أهم المسائل التي خاضت فيها الفلسفة منذ القرن 16 منعرجا جديدة، كانت ولا زالت تبحث وتتساءل وتثور على قضايا الراهن بهدف إرجاع الإنسان إلى إنسانيته، فأخذت دراستها أهمية أكبر عندما بدأت بدراسة السلوك الإنساني تأخذ منها علميا بتحديد لها في الشروط البيولوجية والإجتماعية والنفسية.

إن الهدف من هذه المقاربة الفلسفة إلى محاولة إعادة بناء إنسانية الإنسان من خلال زيجمونت باومان ونظريته حول الحداثة السائلة والصلبة أمام رهانات سلطة التقنية وتقويض ماهية وحرية الأنا المفكرة، كما نهدف إلى تقديم إطار نظري واضح ومفصل لمفهوم الحرية الفردية في العصر الرقمي، وتعريف دقيق لمختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي ذات الصلة، وتحليل معمق لمفهومي الخصوصية

الرقمية والمراقبة الرقمية في ضوء التطورات التكنولوجية الراهنة. كما نسعى في هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية: دراسة معمقة لكيفية تأثير تطبيقات الذكاء الاصطناعي المختلفة (مثل التعرف على الوجوه، تحليل البيانات الضخمة، أنظمة التوصية، وغيرها) بشكل مباشر وغير مباشر على الحق في الخصوصية الرقمية للأفراد والجماعات لذلك نسعى إلى التحليل المعمق والتفكيكي للإشكالية المتنامية المتمثلة في التداخل المعقد بين مفهوم الحرية الفردية والتوسع المتسارع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، مع التركيز بشكل خاص على تأثير هذه التقنيات على الحق في الخصوصية الرقمية وتساعد ممارسات المراقبة الرقمية في سياقات متنوعة.

الدراسات السابقة:

يصنف ملف الحادثة وما بعد الحادثة من أعقد القضايا الفكرية والفلسفية ضمن مختلف التيارات ليومنا هذا، خاصة في الحقل الأكاديمي، ما جعلنا نختارها موضوع المقاربة الفلسفية لهذا العمل، حيث نحاول من خلاله توطئ قضية الحادثة في فلسفة زيجمونت باومان إلا أنه لم تتوفر دراسات أكاديمية في المؤسسات الجامعية الجزائرية حول الحرية في عصر المراقبة الرقمية وتأثير الذكاء الاصطناعي على الخصوصية، قراءة في فكر زيجمونت باومان.

لكن وردت رسالة ماجستير في الفلسفة للطالب (أحمد عبد الباسط)، الموسومة ب: **الحادثة عند زيجمونت باومان مقارنة إبستمولوجية**، (2022، 2023)، جامعة دمشق، حيث تشمل مقارنة إبستمولوجية أساسها محاولة الفهم الجيد لمراحل الحادثة عند باومان ومدى انعكاساتها السياسية، والإقتصادية، والثقافية أمام رهانات التغيرات الحتمية للبنية الاجتماعية من خلال تحديد الملامح المنهجية لفلسفة السيولة، بينما نحاول من خلال هذه الدراسة الفلسفية محاولة توطئ الحرية الفردية وعلاقتها بالحادثة السائلة من خلال طبيعة المجتمع الإستهلاكي

المادي ضمن جدلية الواقع المعيش والواقع الافتراضي أمام سلطة الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي ما يفرض جدل فلسفي جديد أمام الفردانية واللايقين وصراع الغيرية أمام الهويات السائلة.

الإشكالية:

تصنف الحرية من بين أهم القضايا الأساسية التي تعكس ماهية الإنسان وحقيقة أنطولوجيته في بناء ذاته المتميزة عن الآخر وسط المجتمع الذي ينتمي إليه، حيث نحاول من خلال هذه المقاربة الفلسفية لنظرية الحادثة السائلة والصلبة عند زيجمونت باومان ما جعلنا نحاول من خلال هذه المقاربة الفلسفية استدعاء الفلسفة في عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي أين يعيش الإنسان صراع أزمة الوجود والحرية بين الأنا المفكرة البيولوجية، والانسان الروبوت أو الآلة الذكية، وكيف يمكن إعادة بناء الإنسان ضمن إنسانيته الكلية والشاملة من خلال التصور الفلسفي لزيجمونت بومان للحادثة أمام رهانات المذهبية الإستهلاكية المادية لما بعد الحادثة السائلة من خلال كتابه **الحادثة والإزدواجية** حيث بنى تصوره أو نظريته عن ماهية وحرية الإنسان المختزلة والمغيبة بسبب الخضوع للعقل الآداتي وسلطة صناع القرار تحت شعار النهضة والحضارة، حيث يتحدث بومان عن تحول المجتمع المعاصر في أواخر القرن العشرين من مجتمع منتج صناعي إلى مجتمع استهلاكي يقايس فيه حريته أمام الحماية الفردية، لكن عطلت الحماية من أجل الاستمتاع بأقصى درجات الحرية، منها حرية الاستهلاك، وحرية الاستمتاع بالحياة، ومع دخول الألفية الجديدة حاول بومان تجنب تجنب الفوضى المحيطة بمصطلح «ما بعد الحادثة» بأن يستخدم مجازاً الحادثة الصلبة والحادثة السائلة، وهو ما أجبرنا على طرح الإشكالية الفلسفية الآتية:

❖ ما مفهوم الحرية عند بومان أمام رهانات الفردانية، واللايقين، والإستهلاكية المادية لما بعد الحداثة؟ وكيف فسر بنية المجتمعات المعاصرة لما بعد الحداثة بين الحداثة السائلة والصلبة؟

لكن لدراسة الإشكالية الفلسفية السالفة الذكر علينا يفرض البناء المنطقي والفلسفي تفكيكها إلى جملة من التساؤلات الفرعية التي نحددها كما يلي:

- ✓ ما هي المرجعية الفكرية والفلسفية لزيجمونت بومان؟
- ✓ ما حقيقة الإنسان في فلسفته أمام تحديات الفردانية والإقتصاد الموجه؟
- ✓ ماهي التحديات التي واجهت الحرية في ظل العولمة والذكاء الاصطناعي؟
- ✓ كيف أصبح الإنسان داخل مجتمعه يعيش الإغتراب؟ وهل أثرت الحداثة السائلة على وجوده وسيروية تطوره؟

الفرضيات:

يفرض علينا البناء المنهجي، والمنطقي، تحديد جملة من الفرضيات بهدف تحقيق الفهم الجيد لمقاربات التصور الفلسفي لمفهوم الحرية ومقايضتها ضمن مسار التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة السائلة عند زيجمونت بومان، ومدى ممارستها في الواقع المعيش من خلال نظام الإستهلاك المادي والإقتصاد الموجه، والتي تتمثل فيما يلي:

1. تحول المجتمع المعاصر في أواخر القرن العشرين من مجتمع منتج صناعي إلى مجتمع استهلاكي مادي بحت، جعل ذلك ما بعد الحداثة تعكس سلطة الإستهلاك الموجه الذي يقوض حرية وماهية الإنسان ضمن النسق الإجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليه، لتتم مقايضة الحرية بأقصى درجات الإستهلاك، والإستمتاع بالحياة.
2. سلطة الرأسمالية وصناع القرار على المجتمعات تحت شعار النهضة والحداثة، التي يسميها بومان الحداثة الصلبة كونها تجعل العقل البشري يفرض إعلان استقالته

العقلانية، والإجتماعية، والثقافية من خلال التحكم بالثروات، وتطبيق قانون السلالمة الوظيفية، ما يجعل الإنسان غائب الملامح يعيش الإغتراب وحتمية العيش مع الآخر الغريب

3. منهجية البحث:

يفرض علينا البناء الفلسفي والمنهجي الأكاديمي انتهاج بعض المناهج، لما يتوافق مع طبيعة الموضوع المدروس ضمن مقارنة فلسفية، انتهجنا المنهج التاريخي ما يسمح لنا بتحقيق الدراسة الكرونولوجية والجنياالوجية للمفاهيم الفلسفة التي نحاول بناء الدراسة الفلسفية عليها خاصة ما يتعلق بأهم المفاهيم والمصطلحات الفلسفية التي تساهم في بناء التصور الفلسفي لزيجمونت بومان، بالإضافة إلى محاولة تحديد أهم القفزات الإبتيمية والمرجعيات الفكرية والفلسفية التي أثرت على بومان في بناء نظريته حول الحادثة السائلة والصلبة، وهو ما ورد في الفصل الأول للعمل.

كما انتهجنا المنهج التحليلي النقدي بهدف تحقيق الدراسة الفلسفية ونقد أهم التصورات الفلسفية لبومان أمام رهانات أزمة الحرية للإنسان المعاصر، وهو ما ورد في الفصل الثاني، انتهجنا ضمن هذه الدراسة الفلسفية منهج تحليل المضمون لما يتوافق مع اتباعنا لمنهجية IMRAD، بهدف بناء مقارنة فلسفية بين التصور الفلسفي النظري والممارسات في الواقع المعيش لفعل الحرية، حيث نحاول من خلاله تحليل مضمون النصوص الفلسفية لزيجمونت بومان والتي تتمثل في سلسلة السيولة التي نشرها ما بين 1995 و 2017، خاصة كتابه (الحادثة السائلة) حيث يوضح فيها مفهوم الحادثة وما بعد الحادثة وما تأثيره على الحياة الراهنة ضمن طريقة مباشرة وغير مباشرة على جميع الأصعدة، خاصة أمام سلطة النظام الرأسمالي والإستهلاك الأوروبي الموجه الذي تجاوز الماديات، والجانب العاطفي، ما جعل الإنسان يلغي حريته، وإنسانيته ليعيش الفردانية وحالة اللايقين، الإغتراب أما ثقافته أو الهاييتوس المحلي.

خطة العمل:

للإجابة على الإشكالية المطروحة ضمن قالب منهجي أكاديمي، ومتسلسل وتحليل الأفكار ونقدها إعتدنا خطة مهيكلية من مقدمة وفصلين، حيث يشمل كل فصل على ثلاثة مباحث، وتحديد النتائج، ومناقشة النتائج، وخاتمة، نحددها كما يلي:

الفصل الأول الكرونولوجيا والجينيالوجيا المفهوم: بحيث يحتوي هذا فصل على ثلاثة مباحث، ويتضمن المبحث الأول مفهوم الحرية والحادثة لغة واصطلاحاً، أما المبحث الثاني يتضمن ضبط المفاهيم الأساسية كمفهوم العولمة، والحادثة، والإستهلاك، والذكاء الإصطناعي، ولتدعيم البحث أكثر تطرقنا لمفهوم الحادثة السائلة والصلبة. أما مبحث الثالث خصصناه المرجعية الفكرية والفلسفة لزيجمونت بومان.

أما الفصل الثاني: نظرية الحادثة السائلة وصراع الحرية، تناولنا فيه موقف باومان من الحرية والذكاء الإصطناعي ونظريته حول ذلك، درسنا في المبحث الأول الحادثة والعقلانية عند باومان، أما المبحث الثاني بعنوان أزمة الحرية ضمن جدلية الحادثة الصلبة والسائلة، كما تطرقنا إلى أزمة المجتمع السائل من الإستهلاك المادي إلى الرقمي.

حددنا في نهاية كل مبحث من الفصل الثاني أهم النتائج التي تعكس مراحل تحول المجمع المعاصر من الحادثة الصلبة إلى الحادثة السائلة وانعكاساته على حرية، وماهية الإنسان، ثم انتقلنا إلى دراسة مناقشة النتائج المستخلصة من الدراسة، ومحاولة بناء مقارنة فلسفية بين التصور الفلسفي والممارسة الإجتماعية لفعل الحرية عند المجتمعات الراهنة خاصة أمام صراع الهويات السائلة في عصر الذكاء الإصطناعي والمتاهة الأنطولوجية بين الواقع المعيش والواقع الافتراضي.

الخاتمة شملت حوصلة أهم الإستنتاجات للمقاربة الفلسفية التي عالجها زيجمونت بومان من خلال نظريته الحادثة السائلة، ومحاولة فتح مجال الجدل الفلسفي لانعكاسات التصور السوسيوفلسفي لبأومان على المفكرين العرب، حيث كان لأطروحات بومان بالغ الأثر

في أعمال المفكر العربي عبد الوهاب المسيري، وقد تتبع هذا الأثر الباحث حجاج أبو جبر في أطروحة للدكتورة بجامعة القاهرة عام 2008 تحت عنوان «رسم الخريطة المعرفية للحدث وما بعد الحدث: دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان وعبد الوهاب المسيري».

الفصل الأول: كرونولوجيا، وجنيالوجيا المفهوم

- ❖ المبحث الأول: مفهوم الحرية والحدثة لغة واصطلاحاً
- ❖ المبحث الثاني: مقارنة مفهومية وتأصيلية لمفهوم (العولمة، الاستهلاك، الإنسان، الذكاء الاصطناعي)
- ❖ المبحث الثالث: المرجعية الفكرية والفلسفية لزيجمونت

باومان Zygmunt Bauman

1. المبحث الأول: مفهوم الحرية والحدثة لغة واصطلاحاً

1.1 مفهوم الحرية لغة:

يشير الاشتقاق اللغوي لمفهوم الحرية حسب ما ورد في القاموس العربي الشامل أنها (مشتقة من الفعل "حرر" أي العبد جعله أكثر حراً، أطلق حريته، والبلد: خلصه من المحتلين الكتاب حسنه، وقومه وجود حظه) (أمل عبد العزيز محمود، الأداء القاموس العربي الشاملة 1997، ص 202)، أي أن الحرية هي القيام بكل فعل أو عمل بشرط أن لا يعود بالسلب على الآخر بمعنى الإنسان لا يكون عبداً أو أسيراً الغير، بينما جاء في لسان العرب أن (الحر بالضم تقيض العبد، والجمع أحرار، والحررة نقيض الأمة، والجمع حرائر وحرره اعتقه) (ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء القرآن العربي، 1990، ص 272). والمقصود من ذلك أن الكائن البشري يمتلك كل الحقوق في تبادل الآراء و التعبير عن الأفكار التي تجول بداخله، ومن ثم يمكن لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطبّع بكل حريته، مع إحترام الإنقياد وراء تجاوز هذه الحرية في الحالات القانونية، كما ورد ذكر الحرية ضمن عدة آيات من القرآن الكريم من بينها سورة النساء في قوله تعالى "ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة" بمعنى إعتاقها، وحرر الوزن ضبطه بالتدقيق وحرر المعنى إستخلصه مجرداً والعامّة تستعمل التحرير بمعنى الكتابة (بطرس اللبناني، محيط المحيط، قاموس مطول في اللغة العربية، صص 159/160)

نجد تعريف مفهوم الحرية من الناحية السياسية والإجتماعية حيث تعني دلالتها على غياب إكراه إجتماعي مفروض على الفرد، بهذا المعنى يكون الماء حراً في أن يفعل كل ما لا يمنعه القانون حراً في أن يرفض القيام بكل ما يأمره بفعله (أ، لاند، موسوعة لا لاند فلسفية، 1996، ص 727)

1. 2 مفهوم الحرية اصطلاحاً:

يعتبر مفهوم الحرية من المفاهيم الجوهرية التي أثارت الجدل الفكري والفلسفيين العديد من المفكرين والفلسفة منذ القديم إلى يومنا هذا، ساهم ذلك في تعدد تعاريفها ودلالاتها، تكمن حقيقة الحرية من الناحية الفلسفية بمعناه الإغريقي الأول "أليتاھيرا" من حيث أنها إنفتاح وظهور وكشف فهذا ما يجعلها تقوم على شرط أساسي ألا وهو الذات بذاتها **G.G.granger.pense** (1967.p180. **formelle et science de l'homme aubier aigne**)، بهذا يمكن أن تتجسد الحرية من خلال وعي الذات لنفسها ما يمنحها ميزة أساسية ألا وهي الاختيار، فمن خلاله نستطيع أن نحطم القيود التي بداخلنا وبالتالي نهى أنفسنا بظهور الأشياء يمكن أن تكون بمثابة حاجة لنا، وتساهم في تحرير الذات من ضغط الأشياء، حيث نجد سقراط قد عرفها أنها هي الفعل الأفضل والأحسن (روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية، 2007، ص181)، فالليونان قديما اعتبروا الإنسان حراً إذا سلك وفق الطبيعة، أي يتصرف دون قيود أو سلطة من طرف القانون لأن غير الحر هو الذي يخضع لسلطة القانون.

ورد تعريف الحرية عند الفلاسفة المسلمين من خلال ثنائية (الحرية، والجبرية) ما جعلهم في ذلك مختلفون من بينهم ابن صفوان حيث يقول (إن الإنسان ليس حراً بل هو مجبور على أفعاله ولا استطاعة له)، وكذلك نجد الأشعري يزعم في ذات الصدد (أن الإنسان في طبعه حر وليس مجبر على فعل أي شيء دون رغبته، فهذا ما يجعله يطلب كل ما يستطيع القيام به فقط ... إن الإنسان ليس مجبراً، وهو لا يختار في حرية إلا عندما يكون ذلك في استطاعته) (<https://alfikh.blogspot.com>)

تعتبر الحرية هاجس وطموح كل الإنسان الذي من خلاله يثبت إنسانيته، حيث يختلف تعريفها وتحديد دلالاتها الفلسفية من فيلسوف إلى آخر ومن عصر إلى آخر حسب المرجعية الفكرية، والأوضاع السياسية والاقتصادية، ففي العصر الحديث يربطون الحرية بالإنسان أي أنها تتعلق بنظريته لنفسه وفعله، ومع مجتمعه بالسلب أو الإيجاب. فنجد أب الفلسفة الحديثة

رنيه ديكارت **René Descartes** (1596_1650) عرفها أنها (القدرة على فعل أو ترك الشيء نفسه من دون تمييز) ما يعني القدرة على الاختيار واتخاذ القرار دون تأثير داخلي أو خارجي لأن السلطة للعقل أو اللوغوس) (عبد المنعم الحفنى، المعجم الشاملة المصطلحات الفلسفية، دس، ص 293)، بينما نستنتج من تعريف شيخ الفلسفة الحديثة إيمانويل كانط **Emmanuel Kant** (1724 - 1804) أن الحرية هي القدرة على وضع قانون لأنفسنا والالتزام به بمشيئتنا) (عبد المنعم الحفنى، المعجم الشاملة المصطلحات الفلسفية، دس، ص 293)، كما نجد باروخ سبينوزا **Baruch Spinoza** يعتبر أن الحرية لا يمكن أن يشعر بها الإنسان لأنه مقيد بالإنفعالات والإنعكاسات الخارجية فالله وحده هو الحر)، (عبد المنعم الحفنى، المعجم الشاملة المصطلحات الفلسفية، ص 294)، أما جون لوك **John Locke** (1632/1704) فيعتبر أن الإنسان حر عندما يفعل أولاً يفعل بحسب ما يختار أو يريد ولا يهتم بغيره، بمعنى أن الحرية في العقل الغربي تهتم بمركزية الذات فالفرد يكون مالك لأعماله وتفكيره وهذا ما يجعله صاحب القرار، بالتالي تتحدد ذاته بممارسته واختياراته .

لكن لا نستطيع أن نلتمس الحرية إلا من خلال تصرفات الإنسان وممارساته اليومية خاصة أمام الرهانات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية لأن محاولة إدراكنا لآليات وشروط التحرر يبقى فهم نظري، ما جعل القانون التشريعي يدعو إليه من أجل حماية الفرد لأن الشخص الذي يفقد حريته يفقد إنسانيته، لكننا قبل أن نصل إلى ذلك الهدف ولتحقيق الحاجيات والرغبات يجب أن لا نكون عبيد أي أن نتصرف بدون أي ضغط سواء كان إجتماعي أو إكراه ناتج عن ضغوطات الأمراض النفسية، ما يعني الحرية من الناحية السياسية هي عدم وجود موانع القيام بالدور المناط على عاتق مواطن في وطنه، (التركي فتحي، العقل و الحرية، 2016، ص 76). هذا ما يؤكد عليه مارتين هايدغر **Heidegger** (1889/1976) قائلاً (الحرية هي أن نستسلم إلى كشف الموجود من حيث أنه موجود" (التركي فتحي، العقل والحرية، 2016، ص 78).

لتحديد المعنى المعاصر لمفهوم الحرية لابد أن نتعرف عليها من خلال التصور الفلسفي للفيلسوف عند زيجمونت باومان الذي درسها من الجانب الاجتماعي في مختلف سياقاته، وأبعاده السياسية، والإقتصادية، والاجتماعية، ولم يدرسها من زاوية الأدب أو الدين وإنما يؤكد أن الحرية ذات أصل اجتماعي فهي لا تتأسس على الأخلاق أو القانون، وهو ما يؤكد من خلال قوله (أن الفرد الحر خلق اجتماعي تاريخي ،وليس حالة عالمية النوع الإنساني ،أنه أبعد ما يكون عن ذلك أنه خلق اجتماعي وتاريخي)(زيغمونت باومان، الحرية، 2012، ص 28)، ما يعني أن الحرية ليست خاصية مشتركة بين الجميع، فنجد شخص يستمتع بها في مكان بينما يتجرد منها شخص آخر، فمثلا في موضة الملابس نجد مجتمعات تمتلك كل الحرية في طريقة الملابس والاستهلاك للأمور لا يستطيع مجتمع آخر ان يكون حرا فيها كما نجد باومان يعتبر التآخي بين الحرية الإستهلاكية والتنظيم البيروقراطي يضمن الديمومة بدون تعارض مع الدين خاصة في دول العالم الثالث، كما يعرفها أنها تعني (السماح بالتنقل إلى أي مكان) (زيغمونت باومان ،نفس نرجع ،ص 29)

2. 1 مفهوم الحداثة (Modernisme) لغة:

يشير الإشتقاق اللغوي لمفهوم الحداثة حسب ما ورد في لسان العرب (الحديث نقيض القديم والحدوث نقيض القدمة، حديث الشيء، يحدث حدوثا وحداثة وأحداثه هو، فهو محدث وحديث وكذلك استحداثه)، (ابن منظور ،لسان العرب، 1995، ص 131)، فالمقصود بذلك أنه كل الأحداث التي شهدتها العصور القديمة يجب أن يتجاوزها الفرد، ويعمل على تجديدها لذلك نجد كل حرف في مصطلح الحداثة يرمز الى التجديد، هذا ما يوضحه ويؤكد ابن فارس في قوله " الحاء والذال والتاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن والرجل الحدث، والحديث من هذا لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء) (ابن منظور، لسان العرب، 1995، ص 3563)، كما تعرف الحداثة Modernism في اللسان لابن منظور (مشتقة من الفعل الثلاثي "حدث" بمعنى وقع والحديث نقيض القديم وأحدث الله شئ بمعنى أوجده والحدوث مرادف الحداثة) (ابن منظور، لسان العرب، 1995، ص 3348) أي معناه الصورة على كل ما هو قديم كامل

بصفات من زمن الماضي، فالحديث يرادف الجديد ويطبق على الصفات التي تتضمن المدح أو الذم .

نجد تعريف آخر لمفهوم الحداثة حسب المعجم الفلسفي لجميل صليبا، حيث يتضمن معنى المدح صفة الرجل منفتح الذهن المحيط بما انتهى إليه العلم من الحقائق المدرك لما يرافق الروح العصر من الطرق، والآراء، والمذاهب، والحديث الذي يتضمن معنى الذم صفة الرجل قليل الخبرة سريع التأثرالمقبل على الأغراض التافهة دون الجواهر العميقة، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لفساده)، (جميل صليبا ،المعجم الفلسفي بألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، 1982، صص 445-455)، أما الأزهري في معجمه تهذيب اللغة يعرفها (شاب حدث :فتئ سن ،والحديث: الجديد من الأشياء)،(أبو منصور بن أحمد الأزهري تهذيب اللغة، د.س، ص 405)وما يؤكد لنا ذلك ما ورد في معجم الوسيط لمجمع اللغة الحداثة حيث يقال (أخذ الأمر بحداثة، بأوله وابتدائه والمحدث المجدد في العلم والفن)،(شوقي ضيف وآخرون ،المعجم الوسيط، 2004، ص 160)، يطلق هذا المصطلح كذلك على العالم الذي يجددويضيف نظريات جديدة، كما نجد الجرجاني يفصل في تعريفه للحداثة في كتابه التعريفات بين الحدوث الذاتي والحدوث الزماني فقال (الحادث ما يكون مسبوق بالعدم، ويسمى حدوث ذاتي والحدوث، عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه، أي هناك حدوث ذاتي: هو كون الشيء مفقدا في وجوده الغير، أما الحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوق بالعدم سبق زمنيا والأول علم مطلقا من الثاني)،(الجرجاني، التعريفات نسخ وترتيب وتنسيق، دس، ص 61).

2.2 تعريف الحداثة اصطلاحاً:

يتعارض مصطلح الحداثة modernis مع كل من له صلة بالماضي أي تدعو لتجديد، والتقدم ليرتبط هذا المصطلح بأهم حدث ألا وهو إستقلال العقل من قيود الكنيسة فبهذا وضعت بالحركة الإجتماعية شاملة الخروج من العصور الوسطى المسيحية فشملت مختلف المجالات منها الإقتصادية، والديمقراطية، والسياسية، والدخول إلى مجتمعات الرأسمالية التي تتسم بالتجديد والتحديث أي أن الحداثة "نقل المجتمعات الأوروبية في شكلها ومضمونها من مرحلة عصور الضعف، وما تحمله من إرث ثقافية، وسياسي، وإجتماعي وديني إلى مرحلة تجاوزت فيها نمط الفكر والحياة، والمجتمع، والدولة الذي كان سائداً فيها مدة من الزمن"، (طلعت عبد الحميد وآخرون، الحداثة وما بعد الحداثة، دراسات في الأصول الفلسفية التربية، 2003، ص162).

عرف القرن 17 بالثورة العلمية الأولى خاصة مع غاليلو وإكتشافاته دون ان ننسى سبينوزا (1632-1677) وفرنسيس بيكون Francis Bacon، وغيرهم من الفلاسفة التنويريون الذين مهدوا التغيير وطرحوا فكرة الثورة ضد القديم، ساهم ذلك في إكتشاف المناهج العلمية وتغيير طريقة البحث العلمي. فهذا التغيير الكيفي هو ما يعكسه فلاسفة الأنوار مثل: جون لوك (1632-1704) وسبينوزا (1632-1677) وروسو (1712-1778) وفولتير (1694-1778) وديدرو (1713-1784) وكوندرسيه (1743-1784)، كل هؤلاء الفلاسفة كانت آرائهم نقدية اجتماعية، وإرادتهم صلبة في رفض القديم بكل معاييرهم مما ولد صراع بين الخراف والأنوار، وارتبطت بها الحداثة، هذا ما نجده في قول محمد سبيلا "وبعبارة موجزة فإن دينامية الحداثة نشأت وإستمرت كحركة دينامية عصفت بالتدريج بكل البنيات والذهنيات العتيقة، وساهمت في إحداث نوع من القطيعة الجذرية مع كل ما هو تقليدي ومؤدية إلى بلورة تصور جديد بمعنى الحداثة هي ان يخرج الانسان من حالة الوصايا التي تتمثل في استخدام الفكر دون توجيه من غيره... (سبيلا محمد، وعبد السلام بن عبد العلي ، الحداثة مقال لكانط بعنوان ما الأنوار، 2008 ص63) ما يؤكد أن الحداثة ثورة على كل نمط خرافي يقيد العقل أمام الحاجة نحو الإبداع، فيرى كل من كارل ماركس k.Marx وإميل دور كايم E,Durkeim،

وماكس فيبر **M.veber** أن الحادثة تجسد صورة نسق إجتماعي متكامل، وملامح نسق منظم وآمن، كلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات **pierre pourtois** (Huguette, 1997 p26)، نتج من ذلك أن الحادثة أو بالأحرى عصر الحادثة يرفع من قيمة العقل ويدافع معظم الفلاسفة على تحرره ما جعلهم يزعمون أن الحادثة تعرف أنها (الثورة ضد التقليدي وفكرة مركزية العقل)، (Roch Morce ,1989.p 177-190).

كما نجد مجموعة من الفلاسفة إتفقوا بأن الحادثة لم تكن وليدة اللحظة، وإنما مرت بعدة مراحل ومحطات أهمها كانت مع رونييه ديكرت (**RenéDescartes** 1596/1650) فهذا يدل على تعدد التعاريف وتختلف من فيلسوف إلى آخر أي هناك مقاربات فلسفية متعددة فنجد **هيغل** (**Georg Wilhelm Friedrich Hegel** 1770/1831) يصفها أنها إشكالية فلسفية فعبر عنها بالأزمة الحديثة أو الأزمة الجديدة) (**Elisabeth chement et autres , la philosophie des A**) (az, 2000, p292) هذا ما يتقاطع مع يورغن هابرماس (**Habermas 1929**) ضمن سياق فلسفي "إلى إعتبار الحادثة مسألة وعي ما يجدد نفسه بعلاقة مع الماضي -العصور القديمة- ويفهم ذاته نتيجة إنتقال من القديم إلى الحديث)، (يورغن هابرماس، الحادثة مشروع ناقص، 1986، ص42) ما يعني أن هابرماس يرى أن الحادثة ليست مجرد فترة زمنية، بل هي بالأصل مسألة وعي تاريخي متجدد، هذا الوعي يقوم على علاقة جدلية مع الماضي خاصة العصور القديمة الكلاسيكية، لأنها تفهم ذاتها وتُعرف خصائصها المميزة من خلال مقارنة نفسها بالماضي، لكن هذا الانتقال الإبستيمي والأركيولوجي للحادثة من التصور الفلسفي القديم إلى التصور الفلسفي الحديث ليس قطيعة تامة، بل هو تطور واعٍ يرتكز على تجاوز واستيعاب التراث القديم.

إذا الحادثة لا تنشأ من فراغ، بل تستمد وعيها بذاتها من خلال التفاعل النقدي مع إرث الماضي بهدف محاولة تجديده أو الانفصال عنه بوعي وفهم. كذلك نجد هيدغر (**Heidegger 1889/1976**) يعرفها من خلال قوله (الحادثة تغدو أكثر بالتقنية إن لم تكن هي التقنية ذاتها)، (محمد سيلا، الحادثة وما بعد الحادثة، دس، ص8) أي أنها تعتمد أو ترتكز على

الجانب التقني في دراسة المواضيع الراهنة وتحليلها، بينما يذهب غادامير **Hans –Georg Gadamer 1900/2002** إلى تحديد ما يميز الحادثة هو الاعتقاد في العلم الذي يفترض بأن جميع المشاكل ذات مستوى تقني، وبالإمكان إيجاد حلول تقنية لها تفوقها على تقدم العلم (محمد سبيلا، الحادثة وما بعد الحادثة، دس، ص 8)، بمعنى أن الحادثة تتميز بالعلم الاختزالي الذي يعتبر كافة المشكلات ذات طبيعة تقنية، مما يُفضي إلى افتراض إمكانية إيجاد حلول تقنية لها تتفوق حتمًا على أي مقاربات غير علمية، هذه النزعة التكنولوجية الشاملة تختزل التعقيد الإنساني والاجتماعي إلى مسائل قابلة للهندسة التقنية، مُقللةً من شأن أشكال المعرفة الأخرى.

يعرف زيغمونت باومان (**Zygmunt Bauman 1925/2017**) الحادثة في كتابه الحادثة السائلة من خلال جدلية الحادثة السائلة، والحادثة الصلبة فقال (الحادثة تعني محاولة الوصول إلى نهائية من الكمال إلى مرحلة الحادثة السائلة التي هي عملية تحسين وتقدم لا حد لها)، (زيغمونت باومان، الحادثة السائلة، دس، ص 23)، بمعنى حاول منح المفهوم صيغة جديدة تتماشى مع طبيعة المجتمعات المتغيرة، أي الحادثة منذ ظهورها كمفهوم تغيرت في المعنى مع مور الزمن، ففي بداياتها كانت مجرد محاولة نحو التغيير والتقدم، بينما في عصر الرقمنة وسلطة التقنية أصبحت مرحلة التقدم دون حدود، ما جعل "زيغمونت باومان" يعرفها ضمن جدلية السائلة والصلبة فيقول (هي الإيمان المتناهي بأن التغيير هو الثبات الوحيد وأن اللائقين هو اليقين الوحيد فإذا كانت الحادثة في 100 عام الماضية تعني محاولة الوصول إلى حالة نهائية من الكمال، فالآن الحادثة تعني عملية تحسين وتقدم لا حد لها من وجود حالة نهائية في الأفق ومن دون رغبة في وجود مثل الحالة)، (زيغمونت باومان، الحادثة السائلة، 2012، ص 24) كما يطلق عليها تسميت الحادثة "الصلبة والسائلة"، أي أنها قول فلسفي مرتبط بالفعل، بمعنى أنه ليس كلاماً نظرياً تجريدياً، وإنما مجموعة من الممارسات الإنسانية التي إنتقلت معها المجتمعات الغربية من أزمنة ساكنة إلى أزمنة سائلة)، (ز. باومان، الحادثة السائلة، 2016، ص 50). بناء على ما

سبق يمكن القول بأن الحداثة كحركة تاريخية ليست بالجديدة في زمنها ولا بالفطرة في نشأتها وتكونها.

المبحث الثاني: مقارنة مفهومية وتأصيلية لمفهوم (العولمة، الإستهلاك الإنسان،

الذكاء الاصطناعي)

1.1 الإنسان لغة:

اشتقت كلمة إنسان (Human) من الكلمة اللاتينية (Humanus) وهي التي يعتقد أنها مشتقة من كلمة Homo والتي تعني الرجل (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، د.س، ص 155) أما عند لالاند عرفه أنه (أول أنواع المملكة الحيوانية في تصنيف ليدل على الجنس البشري. فذكر في معجمه كلمة (Homo sapiens)، (أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، 2012، ص 563)، أما في معجم كامبردج تدل كلمة Homo على الجنس البشري والذي يتضمن الإنسان الحديث .

يعني الاشتقاق اللغوي للإنسان في مقياس اللغة حيث (قال ابن فارس: الهمزة والنون والسين أصل واحد وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالق طريقة التوحش، قالو: الإنس خلاف الجن وسموا لظهورهم، يقال آنست الشيء إذ رآته)، (أحمد بن فارس بن زكريا أبو حسن، مقياس اللغة، د.ط، ص 145) ويقصد هنا بالإنس: الإنسان بالشيء بمعنى لم يستوحش منه، وفي المعجم الكليات كلمة الإنسان مأخوذة من أنس ذلك المأنوس وهو الذي يؤنس به (رجب عبد الجواد ابراهيم الكليات، معجم المصطلحات الكفي، د س. صص 198.199).

1.2 مفهوم الإنسان اصطلاحاً:

يصنف الإنسان كائن الحي الوحيد العاقل لامتلاكه ملكة العقل، وهو كائن إجتماعي وركيزة المجتمع، هذا ما جعله جوهر الجدل في جميع حقول المعرفة التجريبية، والإنسانية والإجتماعية، حيث يعتبر الفيلسوف اليوناني سقراط أول فيلسوف يوناني أهتم به. ولكن دون ان ننسى الفلسفات السابقة، كالفلasفة الطبيعيين وغيرهم إلا أننا أردنا البدء بسقراط نظراً لإهتمامه به من الناحية الأخلاقية، فهذا ما نجده في قول شيشرون "انسقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض"، (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، 2017، ص 9)، بمعنى أنه نجح في تغيير تفكير الإنسان من الأسطوري الخرافي الروحي إلى الواقعي المنطقي الذي ينطبق مع الواقع الإجتماعي،

والعالم الحقيقي، بينما يؤكد أرسطو طاليس أن الإنسان هو الركيزة الأساسية للمجتمع والتحكم في تشكيل هويته.

أما في الفلسفة الوسيطية التي تميزت بسلطة التفكير اللاهوتي فقد جعلت هي الأخرى الإنسان ركيزة التفكير الفلسفي الديني، فلا يمكن فهم الكائن إن لم نوازن بين الجسد والروح، هذا ما أكدته القديس أوغسطين فقال (النظام الذي وضعه الله للإنسان عندما خلقه لم يجعلها عبداً لآخر إنسان أو لخطيئته، ولكن العقاب وضعته السريعة للحفاظ على التوازن الطبيعي)، (أوغسطين، مدينة الله، 2006، ص14)، كما نجد أب الفلسفة الحديثة رونييه ديكارت عرف الإنسان (هو جوهر مركب من جوهرين متميزين اختلافاً حقيقياً وكاملاً: جوهر مفكر (Res Cogitans)، وهو النفس أو العقل الذي يتميز بالفكر والوعي والإرادة، وجوهر ممتد (Res Extensa)، وهو الجسم الذي يتميز بالامتداد في المكان والقابلية للانقسام ويخضع لقوانين الميكانيكا)، (رونييه ديكارت، مقال في المنهج، 2008، ص16)، على الرغم من هذا التمييز الجوهرى يؤكد ديكارت على وجود اتحاد وثيق بين هذين الجوهرين في الكائن البشري الواحد لكن ضمن تراتبية أنطولوجية ليجعل ماهية الإنسان الروح العاقلة والمفكرة بينما الجسد فيأتي في المرتبة الثانية كونه الجزء المادي الفاني، وهو ما أكدته من خلال الديالكتيك الديكارتي "أنا أفكر، إذن أنا موجود" (Cogito, ergo sum) كأساس لفهمه للوجود الإنساني وجوهره.

لم يعرف الفيلسوف وعالم الاجتماع أوغست كونت **Auguste conte** 1798_1857 الإنسان من خلال سلسلة من الخصائص البيولوجية أو الفيزيائية، بل من خلال قدرته على التفكير (ميشيل بورديو، موسوعة ستانفورد الفلسفية، 2022، ص2)، ما يعني أن الإنسان يشكل هويته خلال علاقاتها المتعددة وتفاعلاته مع بني جنسه والمجتمع الذي ينتمي إليه، هذا ما نجده عند عالم الاجتماع والناقد الإقتصادي كارل ماركس (Karl Marks 1818_1883)، حيث يؤكد أن الإنسان يأثر ويتأثر بالأوضاع التي يعيش بداخلها الإقتصادية والسياسية خاصة الإجتماعية، إذ تنعكس على وعيه وفهمه العالم لأنه لا يعتمد على الفرد وإنما على الجماعة

هذا ما أكد هماركس في قوله (إن المقطع الذي تم الإستشهاد به للتو، يطرح مشكلة ذات أهمية بالغة، وهي مسألة الوعي البشري، إن البيان الخائن هو ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل العكس إن الوجود الإجتماعي هو الذي يحدد وعي البشر) (إريك فروم، مفهوم الإنسان عند كارل ماركس، 1998، ص34) والمقصود بذلك أن الإنسان مخلوق إجتماعي فلا يستطيع أن ينعزل بمفرده وبالتالي وعيه وأفكاره وجل تصرفاته وحتى هويته وخصوصيته تكون وسط الجماعة لأن طبيعة البشر واخلاقهم في تغيير مستمر. كما ورد في المقولة الشهيرة لجورجياس "الإنسان مقياس كل شيء".

2. 1 مفهوم العولمة لغة:

لا يوجد تعريف دقيق أو جامع حول هذا المفهوم نظرا لأنه ليس مصطلح لغوي قاموسيا لأنه مفهوم شمولي يشمل جل المجالات لوصف حركة التغيير المتواصلة، يطلق عليها باللغة الإنجليزية Globalisation، اشتقت من الفعل الرباعي "عولم"، و"يعولم" لكن لم ترد هذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية في كلام العرب، وإنما الحاجة المعاصرة إقتضت إستعمالها، وهي تدل على تحويل شئ إلى وضعية أخرى .

يفيد هذا الإشتقاق أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم، (شكري علي يوسف، حقوق الإنسان في ظل العولمة، 2010، ص14)، ما جعل مجمع اللغة العربية يسمح بإستعمال العولمة كدلالة على العالمية وتعميم الأنماط على الجماعة. كما جاء في معجم ويبستر أن العولمة "Globalisation" هي إكتساب الشئ طابع العالمية وبخاصة جعل نطاق الشئ أو تطبيقه عالميا، (سيارالجميل، في مفهوم العولمة، 1998، ص28)، كما تعرف العولمة (كلمة "العولمة" تشتق من الفعل عولم وهي على وزن حوسب ورقمن، وعم إستعمالها بعد إجازة مجمع اللغة العربية بالقاهرة إستعمالها بمعنى أن يجعل الشئ عالميا إضافة... كما إستخدام مصطلح العولمة بعد التطور المتسارع في التقنيات الإتصال وشبكاتها الدولية)، (سيارالجميل، في مفهوم العولمة، 1998، ص29).

يعرفها محمد عابد الجابري العولمة في معناها اللغوي تعني (تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله)، (الجابري محمد العابد، العرب و العولمة المستقبل العربي، 1998، ص135) أي أنها تتميز بطابع الشمولية في معظم المجالات بهدف التوسيع وتطوير الدول من خلال دخول عدد متزايد من الدول، والقطاعات، والشركات في السوق العالمية، كما أن هذه الظاهرة مرتبطة بمتطلبات التطور التكنولوجي، وزيادة المنافسة، فما يتضح من ذلك أن العولمة هي ثورة تكنولوجية واجتماعية وسياسية واقتصادية .

2.2 تعريف العولمة اصطلاحاً:

ظهرت العولمة كمصطلح في مجالي التجارة والإقتصاد وبعد ذلك بدأ الأكاديميون وعلماء الإقتصاد الحديث عنها بوصفها نظاماً أو حالة ذات أبعاد متعددة لا تقتصر في مجال واحد فقط . كما نجد الدكتور عبد الله أحمد يعرفها أنها عملية يتم بمقتضاها (إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، فتنتقل فيها المجتمعات من حالة التجزئة إلى حالة الإقتراب والتوحد، ومن الصراع إلى التوافق. ومن التباين والتمايز إلى التجانس والتماثل)، (حوست عبد الله أحمد جاد الكريم، اللغة العربية، ترويض العولمة، دس، ص3) والمقصود بذلك أنها تقلص المسافات وتقرب العلاقات من خلال مميزات في مجال التكنولوجيا . كما نجد الكاتب الفرنسي الشهير دولفوس Dollfus (بأنها تبادل شامل وإجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي كظاهرة لا تخرج عن دائرة المتبادلات الإقتصادية داخل الأسواق العالمية)، (تومي عبد القادر، العولمة فلسفتها مظاهرها تأثيراتها، 2009، ص19) فهي تتميز بطابع الشمولية في معظم المجالات بهدف التوسيع وتطوير الدول، مما يؤدي إلى إختراق الحدود القومية وخسارة في سيادة الدولة)، (تومي عبد القادر، العولمة فلسفتها مظاهرها تأثيراتها، 2009، ص20).

3. 1 تعريف الإستهلاك لغة:

ان المتتبع كلمة استهلاك يجد أنها مأخوذة من الفعل "هلك" ولذا نلاحظ أن كلمة استهلاك تأتي بمعنى النفاذ و التغيير والتبديل (موافق محمد عبده، حماية المستهلك في الفقهاالإسلامي، 2002، ص32)،

3. 2 الإستهلاك اصطلاحاً:

يُعرف الاستهلاك في المجال الاقتصادي بأنه الإنفاق من قبل الأفراد والأسر على السلع، والخدمات النهائية بهدف إشباع حاجاتهم، ورغباتهم المباشرة، ويشمل هذا التعريف جميع النفقات التي لا تهدف إلى إنتاج سلع أو خدمات أخرى، بل إلى تحقيق منفعة مباشرة للمستهلك (و. السرطاوي، الإقتصاد الجزئي النظرية و التطبيق، 2015، ص78)، يمكن فهم "الاستهلاك" من منظور هابرماسي على أنه جزء من العمليات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية التي تتشكل من خلالها احتياجات ورغبات الأفراد، ويتأثر بالتفاعلات التواصلية والثقافية، ويمكن أن يكون عرضة لتأثيرات الأنظمة الاقتصادية، والإدارية التي قد تستعمر العالم المعيش (هابرماس، نظرية الفعل التواصل، الجزء الأول، العقلانية وعقلنة المجتمع، دس)، لا ينظر هابرماس إلى الاستهلاك بمعزل عن السياق الاجتماعي والتواصل، فهو يرى أن ما نستهلكه وكيف نستهلكه يتأثر بالنقاشات العامة، والقيم الثقافية، وتأثير وسائل الإعلام، والقوى الاقتصادية.

يقدم زيجمونت باومان (Zygmunt Bauman) تحليلاً معاصراً للاستهلاك في سياق ما يسميه "الحدثة السائلة" يرى أن الاستهلاك أصبح سمة مركزية للهوية الفردية والمجتمع. ففي مجتمع يسوده عدم اليقين والسيولة، يسعى الأفراد إلى بناء هوياتهم من خلال السلع والخدمات المستهلكة، ليصبح الاستهلاك وسيلة للتعبير عن الذات وتحقيق مكانة اجتماعية مؤقتة، ولكنه أيضاً محفوف بالهشاشة والزوال، حيث تتغير الموضات والرغبات باستمرار. يركز باومان على كيف أن ثقافة الاستهلاك تغذي الفردية المفرطة وتضعف الروابط الاجتماعية الصلبة (باومان، ز، الحدثة السائلة، 2012، ص130) المقصود من ذلك أن الاستهلاك في سياق

الحدثة السائلة لم يعد مجرد تلبية للحاجات الأساسية، بل أصبح أداة رئيسية لبناء الهوية الفردية والسعي وراء مكانة اجتماعية.

4. 1 مفهوم الذكاء الاصطناعي لغة:

يعرفه محمود شريف في موسوعة "مصطلحات الكومبيوتر" بقوله هو استخدام نظم الحاسوب الإلكترونية في عمليات لها طبيعة الحوار مع الإنسان، مثل البرامج التعليمية التي يتم تصميمها على هيئة حوار، يقوم فيه الحاسوب بدور المعلم الخبير الذي يعرف الإجابة الصحيحة والقرار الذكي، ويعترض على إجابات المستخدم الخطأ بطريقة صحيحة تعتمد على تحليل وتبويب الأخطاء)، (محمود شريف، موسوعة مصطلحات الكومبيوتر، 1995 ص 33)، بمعنى أن الإنسان الذي يستخدم الحاسوب يشبه المعلم الخبير فهو ينفذ الأوامر بدقة، يعرف الإجابات الصحيحة يتعلم من أخطائه، ويُعتبر مرجعاً أساسياً عند فهم وتحليل نصوص الحاسوب.

يعرف الذكاء الاصطناعي على أنه (علم يبحث أولاً في تعريف الذكاء الإنساني وتحديد أبعاده، ومن ثم محاكاة بعض خواصه)، (عبد المجيد قتيبة، استخدام الذكاء الاصطناعي في تطبيقات الهندسة الكهربائية، 2009، ص 15)، حيث يهدف هذا العلم الجديد إلى فهم العمليات الذهنية المعقدة التي يقوم بها العقل البشري أثناء ممارسته (التفكير) ومن ثم ترجمة هذه العمليات الذهنية إلى ما يوازيها من عمليات محاسبة تزيد من قدرة الحاسب على حل المشاكل المعقدة (عبد المجيد قتيبة، استخدام الذكاء الاصطناعي في تطبيقات الهندسة الكهربائية، 2009، ص 15). فالمقصود بذلك أن الذكاء الاصطناعي هو علم جديد ابتكره الإنسان يهدف من خلاله تقليص الجهد وتسهيل حياته اليومية.

لكن لا يعمل على تجاوز العقل البشري وإنما يدرس كيفية التفكير وطريقة إعمال العقل الإنساني ليعكسها على شكل خوارزميات تقنية وآلية، يؤكد ذلك الباحثان محمود ثائر وعطيات صادق في كتابهما "مقدمة في الذكاء الاصطناعي" على أنه جزء من علم الحاسبات الذي يهتم بأنظمة الحاسوب الذكية، تلك الأنظمة التي تمتلك الخصائص المرتبطة بالذكاء وإتخاذ القرار

والمشابهة لدرجة ما السلوك البشري في هذا المجال فيما يخص اللغات، التعلم التفكير، حل المشاكل... كما يمكن القول بأنه أحد علوم الحاسب الآلي الحديثة التي تبحث عن أساليب برمجية متطورة القيام بأعمال وإستنتاجات تشابه ولو في حدود تلك الأساليب التي تنسب لذكاء الإنسان، فهو بذلك علم يبحث أولاً في تعريف الذكاء الإنساني وتحديد أبعاده ومن ثم محاكاة بعض خواصه)، (محمد نائر وعطيات صادق، مقدمة في الذكاء الصناعي، 006، ص14) أي أن الذكاء الاصطناعي هو نمذجة ومحاكاة السلوك البشري لهذا ويذكره محمد علي الشراوي أن (الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية أحد علوم الحديثة، والمبتكرة التي تعتمد على الحاسوب وبرامجه بشكل أساسي، وهو الحجر الأساس في جعل الآلات المبرمجة والمحوسبة تقوم بمهام متماثلة، وبشكل كبير لعمليات الذكاء البشري التي تتمثل في التعلم والإنبساط وإتخاذ القرارات)، (محمد علي الشراوي، الذكاء الصناعي وشبكات العصبية 1996، ص12) بهذا المعنى فإن الذكاء الاصطناعي هو عملية محاكاة الذكاء البشري عبر أنظمة الكمبيوتر، بمعنى انه هو "محاولة لتقليد سلوك البشر ونمط التفكيرهم وطريقة إتخاذ قراراتهم، إذ تتم دراسة سلوك البشر عبر إجراء تجارب على تصرفاتهم ووضعهم في مواقف معينة ومراقبة ردود أفعالهم وأنماط تفكيرهم وتعاملهم مع هذه المواقف ثم محاولة محاكاة طريقة التفكير البشرية عبر أنظمة كمبيوتر معقدة)، (سالم عبد البديع، تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، 2001، ص48).

المبحث الثالث: المرجعية الفكرية والفلسفية لزيجمونت باومان ZYGMUNT

Bauman

ساهم عصر النهضة والتطورات العلمية في انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على جميع الأصحة وشرابين الحياة، ما جعل المجتمع البشري ينتقل من مرحلة الفكر اللاهوتي إلى مرحلة الحرية الفكرية والنقدية، ما نتج عنه مجتمعات ما بعدى الحداثة، هذه الأخيرة التي صنف فيها الإنسان في حقل الماديات والتشيئة المادية دون احترام إنسانيته، وخصوصيته الروحية والثقافية، ما أثار الجدل الفلسفي عند عالم الاجتماع البولندي البريطاني زيجمونت بومان باعتبارها أحد أبرز الأصوات التي سعت إلى فهم صيرورة الحداثة وما بعد الحداثة من خلال رفضه الإستعامل العشوائي لمصطلح الحداثة باسم الحضارة والتحضر، ليرسخ مصطلح الحداثة السائلة كونه بهدف إعادة توطین الماهية الإنسانية ضمن البنية الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد مع ضرورة احترام طبيعة العلاقات الإنسانية عالم يمتاز بالسيولة وعدم اليقين، تستكشف هذه المرجعية الفكرية أبرز محطات مسيرته الفكرية وأهم المفاهيم التي طرحها مع التركيز على تأثيرها المستمر على الفكر الاجتماعي المعاصر:

✓ فمن هو زيجمونت باومان؟ وماهي أهم محطاته الفكرية والفلسفية التي ساهمت في بناء فلسفته؟

زيجمونت باومان ZYGMUNT Bauman فيلسوف يهودي من أصل بولندي وعالم اجتماع ولد عام 1925، التحق بالجيش البولندي وحارب في صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية. لمقاومة الغزو الألماني النازي لبلاده، بعد إنتهاء من الجيش أكمل دراسته العليا في علم اجتماع ثم عمل محاضرا بجامعة وراسو، إنتقل إلى إنجلترا ليقضي بقية حياته، فتبنى باومان الفكر الاشتراكي ودافع عنه، كما نجده إهتم بالعديد من المواضيع الاجتماعية من بينها مفهوم الطبقة والحركات العمالية، في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن الماضي نشر

بومان عدد من الكتب التي تناولت العلاقة بين الحداثة والبيروقراطية والعقلانية والإقصاء الاجتماعي ساهمت في شهرته، كما نجد مواضيعه التي درسها ساعدته على إنتشار أفكاره وفلسفتهم بينها دراسات الحداثة والظواهر المرتبطة بها في العالم المعاصر .د.رجاء طه محمد القاضي القحطاني وآخرون، رؤية نقدية لنظرية السيولة، العدد 29 ،د.س،ص (456)

إشتغل زيغمونت باومان في المخابرات العسكرية البولندية كمدرس لعلوم السياسية وخلال تلك الفترة (1939_1953) درس السوسيولوجيا في أكاديمية وارسو على يد كبار السوسيولوجيين من بينهم ستينسلو أوسوسكي (1897 /1963) Julian Huxley وجوليان هوتشيلد" (1887/1975)، غير أنه غادر قسم علم الاجتماع موجهة نحو قسم الفلسفة بسبب خطر علم الاجتماع في بولندا بإعتباره علم برجوازي، في عام 1954 أصبح محاضر في جامعة وارسو حيث إستقر بها إلى عام 1968، خلال وجوده في قسم الإقتصاد بجامعة لندن ففي عام 1971 أصبح رئيس قسم علم الاجتماع بجامعة ليدز فمنذ ذلك الوقت كانت كتبه ومعظم أعماله تنتشر باللغة الإنجليزية. (<https://aawsat.com>)

نشر زيجمونت باومان ما يقارب سبعة وخمسون كتابا وما يقارب مئة مقال، حيث كرم عليها بالعديد من الجوائز من بينها جائزة أميرة استورياس في إسبانيا عام 2010، فهي أعمال تشمل مجالات مختلفة منها) العولمة والحداثة، ما بعد الحداثة، الإستهلاك والنظام الأخلاقي، البيروقراطية والعقلانية والإقصاء الاجتماعي). ومن أهمها: "دراسة عن الحركة الإشتراكية البريطانية"، (حياة بلا روابط "2005، ثراء الأقلية 2014، الحداثة السائلة la modernité 2016 الحداثة والهولوكوست 2014، الحب السائل 2016، الحرية 2012 الأخلاق في عصر الحداثة السائلة 2016). إن قوة طرحه لمواضيع راهنة ضمن العديد من المجالات السوسيولوجيا، وفلسفية أثر على بعض المفكرين العرب مؤخرا فاهتموا بفكره وفلسفته (<https://aawsat.com>).

تصنف سيرورة زيجمونت باومان السوسيوفلسفية ضمن أربعة مراحل وهي كالتالي:

◀ **المرحلة الأولى:** مرحلة بولندا "تميزت هذه مرحلة بأعمال التي طبعت باللغة البولندية إمتدت ما يقارب (1957/ 1968) حيث تأثر أعماله بالماركسية الأرثوذكسية التي سيطرد عليها بعد نفيه من بلده الأصلي إلى بريطانيا بسبب نقده المجتمع الشيوعي والإتحاد السوفياتي. (زيجمونا باومان، الحداثة والهولوكوست، دس، ص 245).

◀ **المرحلة الثانية (1971/1982):** درس في هذه المرحلة علم الاجتماع النقدي متأثر بجورج سبمل "1858/1918 Georg Simmel وأنطونيو غرامشي من خلالها أكتشف عوالم الفرد والمجتمع وبلورة رؤية المجتمع الصلب الذي ينطبق على طور الرأسمالية الإنتاجية القائمة على الصناعة والتجارة . (زيجمونا باومان، الحداثة والهولوكوست، دس، ص 245).

◀ **المرحلة الثالثة (1987/1991):** تميزت هذه المرحلة بنقده الجذرية الحداثة واعتبرها السبب في المآسي التي عاشها الأفراد في القرن 20، لأن أبشع الجرائم في تاريخ الإنسان لم ينشأ من خرق النظام، بل من خلال إتباعه بشدة وبلاء أخطاء فلم تكن الهولوكوست جريمة إرتكبتها مجموعة الغوغاء، بل نفذتها مجموعة محترمة ومنظمة ترتدي زيا رسميا وتتبع القانون وتتحرى الدقة في تعليماتها " (زيجمونا باومان، الحداثة والهولوكوست، دس، ص 245). فهذا نجده اتفق مع حنة أرنت (Hannah Arendt 1906/1975) في وصفها الشر السياسي .

◀ **المرحلة الرابعة (1992/إلى يومنا هذا):** إشتهر خلال هذه المرحلة بنقده لما بعد الحداثة كمرحلة عممت فيها ثقافة الإستهلاك والحرية الفردية. في سنة، 1998 أطلق مفهوم المجتمع الإستهلاك والحرية الفردية ضمن المجتمع السائل كمجتمع إستهلاكي يمثل نموذج الإقتصاد النيوليبرالي، أين يندمج الفرد بفضل إستهلاكه وقدرته على إشباع رغباته في السوق، كما ترجمة أعماله إلى عدة لغات عالمية خلال هذه الفترة.

يمكن القول من خلال ما سلف ذكره أن الإرث الفكري لزيغمونت باومان يظل حاضراً بقوة في النقاشات المعاصرة حول طبيعة مجتمعاتنا الحديثة. لقد ترك لنا أدوات تحليلية قيمة لفهم التحديات والتحويلات التي نشهدها، بدءاً من سيولة الهويات والعلاقات وصولاً إلى تأثير العولمة

وثقافة الاستهلاك. إن إعادة قراءة أعماله واستيعاب مفاهيمه تظل ضرورية لكل من يسعى إلى فهم أعمق لتعقيدات عالمنا المعاصر وسبل التعامل معها.

الفصل الثاني: الحداثة السائلة وصراع الحرية الفردية عند زيجمونت باومان

❖ المبحث الأول: صراع الحداثة والعقلانية عند

زيجمونت باومان

❖ المبحث الثاني: أزمة الحرية الفردية ضمن جدلية

الحداثة الصلبة والحداثة السائلة

❖ المبحث الثالث: أزمة المجتمع الاستهلاكي وصراع

الهويات السائلة أمام رهانات السلطة الرقمية والذكاء

الإصطناعي

المبحث الأول: صراع الحداثة والعقلانية عند زيجمونت باومان

1/ من الحداثة إلى الحداثة السائلة:

شهد المجتمع الغربي خلال القرنين 17 / 18 جملة من التطورات والغيرات في العديد من المجالات منها الإقتصاد، السياسة، العمران، فواكبت هذه التحولات ظهور ثورة إنعكست بالإيجاب على حياة الفرد ألا وهي الثورة الصناعية، بحيث أعطت الحداثة صبغة علمية وتكنولوجية تتجاوز كل ما هو تقليدي، وتحت على الإبداع والتطور خاصة في المجال التقني والعلمي (رمزي أحمد عبد الحي، د.س، ص33)، ما يعني أن الإنسان ما يميزه ويشعره بإستقلاليته وقيمتة هو العقل.

لم يكن ميلا الحداثة طفرة، بل تبلور منذ عصر النهضة وع ذلك قال الناقد الفرنسي يولدير سنة 1863 قائل (هذا الإنسان يجري ويبحث فعما يبحث؟ الأكيد ان لهذا الإنسان الأعزل الذي حبته الطبيعة لموهبة الخيال أخلاق، إنه يبحث عن هذا الشئ الذي سوف يكون في وسعنا ان نطلق عليه اسم الحداثة، والسبب ما من كلمة أخرى أفضل من هذا التعبير عن هذه الفكرة) (شارل بولدير، 2006، ص18)، أي أن الحداثة تتجسد من خلال الفن والأدب، فبواسطتهما يزود الإنسان لرؤية شاملة الكون ويعبر عن ما يلوج بداخله ليحقق التحرر والتطور الحضاري. تقوم الحداثة كذلك على العديد من المبادئ أهمها الوعي واليقين من خلالهما يبني العالم من جديد، لأن الوعي والتفكير المنطقي يرفض الحياة التقليدية ويركز على المعرفة اليقينية والتقنية، هذا ما سعى إليه ديكارت من خلال منهجه الذي أبدعه ألا وهو "الشك المنهجي" ساهم من خلال زرع الوعي في الذهنية الحديثة، أي عندما يشد الإنسان فهو دلالة على وجوده على عكس ما يراه "سارتر " من خلال تساؤلات التي طرحها أيهما أسبق من الآخر هل الشئ

أولا تم تكون متعبة وصفاته أم الماهية والصفات تكون أسبق من وجود الشيء نفسه؟ نستنتج من ذلك أنه الكائن العاقل هو الوحيد الذي حقق أو سبق وجوده لماهيته. في قوله "هناك كائن على الأقل قد يواجه قبل أن يحدد معالمه وتبين الكائن هو الإنسان (جون بول سارتر، 1996، ص21)، فبعد ان إشتغل الفلاسفة الحديثون وإستنتجوا أن العقل هو السبيل في تحرير الإنسان وجعلوه كمبدأ من مبادئ الحداثة، لأنه هو الجوهر الذي يميزه عن غيره ويثبت بواسطته إنسانيته

كما نجد مبدأ الذاتية كذلك يساهم في تحريره ويعيد تشكيله من جديد، لأنها تدفع الفرد أن يواجه ذاته وي طرح عدة تساؤلات مع نفسه يهدف منها إلى التغيير وتحسين حياته أي بواسطة هذا المبدأ يتحول تفكيره من الجماعي "نحن" إلى فردي "الأنا"، فالحداثة إعادة تشكيل الإنسان من جديد فنقطة البداية نحو التغيير كانت ذاته بشرط ان تكون مستقلة، فمن أبرز المذاهب والفلسفات التي تدعم هذه الفكرة هي الوجودية كونها تصنع من الإنسان مشروع مراقب لنفسه، بمعنى هو بذاته يراقب تصرفاته ويواجه ذاته أي يعيش في حريته وإستقلاليته من الخرافات والقيود الدينية ليكون مركز اصليا لكل شيء وسيدا على العالم وهذا إنبثقت مفاهيم جديدة اهلي على قيمة الذات وتتخذ اللوغس شعار لها (<http://dspace.univ-batna.dz/xmlui/handle/123456789/1349>)، هذا ما كانت تطمح إليه الحداثة وجعلته شعارا وهدف لتحقيق التقدم والعقلانية، إلا أن سرعان ما انقلبت الأوضاع إلى واقع مرير وإنتقل المجتمع إلى واقع مغاير في الحداثة السائلة، أي أنها تعبر عن حالة العالم المعاصر والتغيرات التي مست مختلف المجالات الحياة الإنسانية، والمجتمع والسلطة والأخلاق، المراقبة، الحب، الخوف...

رفض زيجمونت باومان الإستغلال العضوائي لمصطلح الحداثة ليؤسس لها حقل سوسيوفلسفي جديد من خلال وضعه مصطلح السيولة، بهذا المعنى لا تعترف بفكرة الثبات والصلابة، بل تفكك كل المفاهيم الصلبة وتحرر من الحقائق والمفاهيم والمقدسات (زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، دس، ص59) يستعمل باومان كلمة سائل من العلوم الفيزيائية لتمييزها بالمرونة

والتغير المستمر ودائماً تنتج الجديد. هذا الإسقاط طبقه باومان عن الحداثة أي أنها بمثابة إذابة كل ماهو صلب، وتجاوزه بماهو جديد على حساب العقلاني للنتائج، لذا وجه خطابه النقدي بدراسة الوضع المعاصر وبيان مناطق السيولة التي تعززت أكثر فأكثر بفعل ظاهرة الكوكبية حسب تعبيره والتي تعرف بالعولمة، كما يوضح لنا في ذات الصدد أن العولمة تتجلى ضمنها مظاهر السيولة في كل المجالات من سيولة الأفراد من مكان لآخر وسيولة الهويات، والقيم الأخلاقية من خلال النزعة الإستهلاكية وما عانته ظواهر تجلت في السلوك والمعتقدات) (زيغمونت باومان، الحياة السائلة، 2017، ص11).

جعلت النزعة الإستهلاكية المجتمعات تبحث عن التجديد والحرية، السرعة والتغيير والإسراف دون قيود، حيث يصبح الإنسان دائم البحث عن الحياة الأفضل التي يضمن راحته وإستقلاليته من خلال إتباع صيحات الموضة وإقتناء أفضل المنتجات، لذا النزعة الإستهلاكية تعود بالسلب على المجتمعات، لأنها تعمل على تحطيم الهويات والمبادئ التي يجب على الفرد أن يحترمها، ويصبح جانب "اللذة" مسيطر، كما يرى باومان أن عصر ما بعد الحداثة تختفي فيه الفوارق، وتتلاشى الحدود ما يجعل كل شئ يصبح نقيض نفسه) (د.رجاء طه محمد القاضي القحطاني، حسبية سمير صالح صوالح بالبيد، رؤية نقدية النظرية السيولة فزيغمونت باومان، د.س، عدد 29، ص461)، جعل ذلك باومان يقسم الحداثة إلى مرحلتين هما: من مرحلة الهوية الذاتية (الأصلية) إلى مرحلة الهوية الذاتية (الساخرة)، حتى تنتهي بتقاافتنا المعاصرة التي يمكن تسميتها بالتجمعية) (د.رجاء طه محمد القاضي القحطاني، حسبية سمير صالح صوالح بالبيد، رؤية نقدية النظرية السيولة فزيغمونت باومان، د.س، عدد 29، ص461).

2. أهم نتائج الدراسة:

نستخلص من خلال ما سلف ذكره أهم النتائج التي نحددها كما يلي:

1. الاهتمام بالتغيرات في الزمان والمكان: المنهجية تتضمن فحص كيف أدت الحادثة السائلة

إلى إعادة تشكيل مفاهيم الزمان والمكان وتأثير ذلك على التجربة الإنسانية.

2. دراسة تأثير الفردية والتحرر: يتم تحليل كيف أدت سيولة الحادثة إلى أشكال جديدة من

الفردية والتحرر، مع التركيز على ما يصاحب ذلك من تحديات ومسؤوليات.

3. فحص العلاقة بين الحادثة السائلة والاستهلاك: تتضمن المنهجية دراسة كيف يرتبط

منطق الاستهلاك بثقافة الحادثة السائلة وتأثير ذلك على الهويات والعلاقات الاجتماعية.

4. تحليل دور التكنولوجيا الرقمية: يتم دراسة كيف تساهم التكنولوجيا والفضاءات الرقمية

وشبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز خصائص الحادثة السائلة.

5. استكشاف مفهوم "سيولة الخوف": تتضمن المنهجية تحليل كيف ينتج عن حالة عدم

اليقين والسيولة في الحادثة المعاصرة أشكال جديدة من الخوف والقلق الاجتماعي.

6. التأكيد على الطبيعة المتغيرة للهويات: يتم دراسة كيف تصبح الهويات أكثر مرونة وسيولة

في ظل الحادثة السائلة وتأثير ذلك على الشعور بالانتماء والاستقرار الذاتي، من خلال

تشكيل التفاعلات الإنسانية أمام تحديات الهويات الرقمية وصراع الغيرية في الفضاء

الإفتراضي.

7. فحص تأثير الحادثة السائلة على العمل والإنتاج: تتضمن المنهجية تحليل كيف تغير

طبيعة العمل والإنتاج في ظل الحادثة السائلة وتأثير ذلك على حياة الأفراد والمجتمعات

خاصة أمام الثقافة الإستهلاكية المادية للمجتمعات الراهنة.

8. دراسة التحديات التي تواجه بناء مجتمع متماسك ومرنة: يتم فحص كيف تعيق سيولة الحداثة بناء روابط اجتماعية قوية ومستدامة وتحديات تحقيق التماسك الاجتماعي.
9. محاولة فهم الاستجابات الفردية والجماعية: تتضمن المنهجية استكشاف كيف يتكيف الأفراد والجماعات مع تحديات الحداثة السائلة واستراتيجياتهم في التعامل معها.
10. تقديم إطار نظري لفهم الظواهر المعاصرة: تهدف المنهجية بشكل عام إلى تقديم إطار نظري نقدي يمكن من خلاله فهم وتحليل مجموعة واسعة من الظواهر الاجتماعية والثقافية المعاصرة في ضوء مفهوم الحداثة السائلة.
11. استخلاص مؤشرات وتجليات ملموسة للحداثة السائلة في الواقع المعاصر.
12. إبراز التحديات والمخاطر التي تنطوي عليها الحداثة السائلة.

3. مناقشة وتحليل النتائج :

إن وصفه لـ "سيولة" العلاقات، العمل، الهويات، وحتى الخوف، يبدو دقيقًا بشكل لافت للنظر عند النظر إلى عالم يتسم بالعولمة المتسارعة، التكنولوجيا الرقمية، ما جعلنا نحدد مجال مناقشة النتائج المتحصل عليها من خلال هذه المقاربة الفلسفية ضمن النقاط الآتية:

1 تفكيك المفاهيم الأساسية للحادثة السائلة: يكمن جوهر نظرية باومان في الانتقال من "الحادثة الصلبة" إلى "الحادثة السائلة"، حيث تتميز الحادثة الصلبة ببنية مؤسسية راسخة قيم ومعايير واضحة، وهويات مستقرة نسبيًا كانت بمثابة مشروع بناء ضخم يسعى إلى تنظيم المجتمع وتحديد مسارات الأفراد، بينما الحادثة السائلة تتميز بالسيولة، والمرونة، والتغير المستمر، حيث تبرز قوة مفاهيم باومان في قدرتها على التقاط طبيعة التحولات العميقة التي يشهدها العالم المعاصر.

2. الربط بالسياق التاريخي والاجتماعي لتطور مفهوم الحادثة: يمكن اعتبار الحادثة السائلة بمثابة مرحلة متأخرة أو "ما بعد" الحادثة الصلبة، حيث تفككت العديد من اليقينيّات والمؤسسات التي قامت عليها الحادثة المبكرة ما كان نتائجها سقوط الأنظمة الشمولية، وثورة الاتصالات ساهمت في تسريع هذه العملية.

3. المنهج الوصفي التحليلي وأبعاد النظرية: تعتمد نظرية باومان على وصف دقيق للظواهر

المعاصرة وتحليلها من منظور السيولة. تتجلى أبعاد هذه النظرية في مفاهيم مثل:

✓ **سيولة الزمان والمكان:** لم يعد الزمان والمكان ثابتين ومحددتين أمام رهانات التكنولوجيا الرقمية طمست الحدود وأتاحت تجارب آنية وعابرة للمواقع. هذا يؤثر على شعورنا بالاستقرار والانتماء.

✓ **الفردية والتحرر:** الحداثة السائلة تمنح الفرد حرية أكبر في تشكيل هويته وخياراته، لكنها في الوقت نفسه تلقي عليه مسؤولية هائلة في عالم غير مستقر ومليء بالخيارات المتنافسة هذا قد يؤدي إلى الشعور بالقلق والضياع.

✓ **الاستهلاك والهويات:** أصبح الاستهلاك أداة رئيسية لتشكيل الهويات والتعبير عنها. لكن هذه الهويات الاستهلاكية غالبًا ما تكون مؤقتة وسريعة الزوال، مما يزيد من الشعور بعدم الاستقرار.

✓ **التكنولوجيا الرقمية:** عززت سيولة العلاقات والتفاعلات لأن الهويات تُعرض وتُعدل باستمرار، والعلاقات أصبحت أكثر مرونة وأقل التزامًا.

4. **مقاربة سيولة الهويات لباومان مع باتصورات الفلسفية لكل من (جون بول سارتر، كارل ماركس):**

أ/ **جون بول سارتر:** يمكن مقارنة فكرة "الحرية المطلقة" عند سارتر مع سيولة الهويات في نظرية باومان، فكلاهما يؤكد على مسؤولية الفرد في خلق معنى لوجوده في عالم غير محدد مسبقًا. لكن باومان يركز بشكل أكبر على القيود الهيكلية والاجتماعية التي تفرضها هذه السيولة، بينما يركز سارتر على البعد الوجودي الفردي.

ب/ **كارل ماركس:** على النقيض من تركيز ماركس على البنى الاقتصادية الصلبة والصراع الطبقي، تركز الحداثة السائلة على تفكك هذه البنى وظهور أشكال جديدة من عدم المساواة والهشاشة الاجتماعية. مع ذلك يمكن ربط فكرة "تسييع كل ما هو صلب" في البيان الشيوعي ببعض جوانب السيولة التي يصفها باومان.

5. **الانعكاسات الاجتماعية والثقافية للحداثة السائلة:** للحداثة السائلة آثار عميقة على الأفراد والمجتمعات نحاول ذكر أهمها:

✓ **ضعف الروابط الاجتماعية:** السيولة وعدم اليقين يمكن أن يؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية القوية والمستدامة، وظهور علاقات أكثر سطحية وعابرة.

✓ أزمة الهوية والانتماء: في عالم متغير باستمرار يصبح بناء هوية مستقرة والشعور بالانتماء أمراً صعباً.

✓ صعود الفردانية النرجسية: التركيز المفرط على الذات والبحث عن الإشباع الفوري يمكن أن يؤدي إلى أشكال من الفردانية النرجسية.

✓ انتشار ثقافة الاستهلاك: يصبح الاستهلاك هو اللغة المشتركة التي يتم من خلالها التعبير عن الذات والتواصل مع الآخرين.

6. مؤشرات وتجليات ملموسة للحادثة السائلة في الواقع المعاصر: يمكن ملاحظة تجليات الحادثة السائلة في العديد من جوانب حياتنا المعاصرة:

✓ سوق العمل المرن: العقود المؤقتة، العمل الحر، وتغير الوظائف المتكرر يعكس سيولة في عالم العمل.

✓ العلاقات العابرة: سهولة التواصل عبر الإنترنت تؤدي إلى تكوين علاقات سريعة الزوال وتفككها بسهولة.

✓ الموضة والاتجاهات السريعة: التغير المستمر في الموضة والاتجاهات يعكس الرغبة في التجديد المستمر وعدم الثبات.

✓ الخطاب السياسي الهش: صعود الشعبوية وانتشار الأخبار الكاذبة يشيران إلى تآكل الثقة في المؤسسات والسرديات الكبرى.

7. التحديات والمخاطر التي تنطوي عليها الحادثة السائلة: تنطوي الحادثة السائلة على العديد من التحديات والمخاطر:

✓ الشعور بالقلق وعدم الأمان: عدم اليقين والتغير المستمر يمكن أن يؤدي إلى الشعور بالقلق والتوتر وعدم الأمان.

✓ تآكل التضامن الاجتماعي: صعوبة بناء روابط اجتماعية قوية يمكن أن يؤدي إلى تآكل التضامن والتعاون في المجتمع.

✓ صعوبة تحقيق الاستقرار الشخصي: في عالم يسوده التغيير يصبح تحقيق الاستقرار على المستوى الشخصي والعاطفي تحديًا كبيرًا.

8. تأثير الحداثة السائلة على العمل والإنتاج: يشهد عالم العمل تحولات جذرية في ظل الحداثة السائلة ظهور الاقتصاد الرقمي من خلال العمل عن بعد، والوظائف المؤقتة يعكس هذه السيولة. يصبح الأمن الوظيفي أقل يقينًا، ويتعين على الأفراد اكتساب مهارات جديدة باستمرار للتكيف مع متطلبات سوق العمل المتغيرة.

9. التحديات التي تواجه بناء مجتمع متماسك: تعيق سيولة الحداثة بناء روابط اجتماعية قوية ومستدامة. ما يجعل سهولة الانفصال والتنقل بين الجماعات والهويات تجعل من الصعب بناء شعور قوي بالانتماء والالتزام المشترك. هذا يطرح تحديات كبيرة أمام تحقيق التماسك الاجتماعي والاستقرار المجتمعي.

10. محاولة فهم الاستجابات الفردية والجماعية: يتفاعل الأفراد والجماعات مع تحديات الحداثة السائلة بطرق متنوعة. قد يلجأ البعض إلى تبني مرونة مماثلة ومحاولة التكيف مع التغيير المستمر، وقد يسعى آخرون إلى البحث عن ملاذات من الاستقرار والأمان في العلاقات التقليدية أو الهويات الجماعية. فهم هذه الاستراتيجيات المختلفة للتكيف أمر بالغ الأهمية.

نستخلص من خلال ما سبق ذكره أن نظرية الحداثة السائلة تشمل إطار نظري نقدي يهدف إلى فهم العديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية المعاصرة من خلال التركيز على مفاهيم السيولة، التغيير، وعدم اليقين، كما تساعدنا هذه النظرية على إلقاء الضوء على طبيعة التحولات العميقة التي يشهدها عالمنا وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات.

مبحث 2: أزمة الحرية الفردية ضمن جدلية الحداثة الصلبة والسائلة

1. مقايضة الحرية أمام الحماية الفردية:

تعتبر الحرية في الفترة الحديثة وبالتحديد ما يطلق عليها زيغمونت باومان "Zygmunt Bauman (1925/2017)، بالحداثة الصلبة التي كانت تهدف بالوصول إلى غاية الكائن البشري، بل شرطه الأساسي للوصول إلى الممارسة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية لأنها بمثابة رابطة للتقاهم بين الحاكم والمحكوم وعليه تسقط كل مظاهر الظلم والإستبداد، أي أنها تحرك مظاهر العبودية والإستغلال داخل المجتمعات وتبرز مكانة الإنسان داخل عالمه الخارجي ألا وهو المجتمع، هذا ما يذكره كارل ماركس "Karl Marx (1818/1883)، بقوله (الحرية هي إدراك الضرورة) (كارل ماركس، العمل ورأس المال 1891، ص 29) ما جعل الحرية تقوم على مبدأ التغيير المستمر والثورة على كل فكرة تقييد الذهن، ما يجعل الإنسان يكتسب فكرة ووعي يحرره من التسلط السياسي وغيره، هذا ما يرد في قول كارل ماركس (ان الطبقة التي تستطيع ويتوجب عليها أن تتولى مهمة تحرير الشعب وتحويل النظام الإجتماعي لا يمكن أن تكون عبر البروليتاريا) (زيزنوف، محاضرات في التاريخ الماركسية، 1923، ص 30).

يتضح من خلال المقاربة الفلسفية بين ماركس، وباومان حول موضوع الحرية، أو التحرر الذي يعتبر موضوع فلسفي شغل ذهن المفكرين منذ فجر التاريخ وصولاً إلى الفلسفة الوجودية مع جون بول سارتر "Jean -paul Sartre (1905/1980) التي شهدت تقدماً علمياً خاصة في مجال التقنية ما جعل عصره يعرف بالمرونة والسرعة، وغير الزمان وقلص المسافات والهوية والحياة الإنسانية، هذا ما وصفه الفيلسوف البولندي زيغمونت باومان بعصر السيولة أو الحداثة السائلة. لكن ما يجعلنا نتساءل كيف ظهر عصر السيولة؟ وما هي التغيرات التي طرأت عليه؟ وهل الإنسان حافظ على حريته في زمن التقنية والسرعة؟

قبل التطرق لذلك يجب أن نشير إلى أن باومان أطلق على الحداثة مصطلحين أساسيين ألا وهما الحداثة الصلبة والسائلة (Liquid Modernity) (فيقصد أنها) (التغيير المستمر والدائم، فالحداثة عالم مليء بالفرص والتناقض في كثير من الأحيان ولكنها في ذات الوقت تخلو من المعايير الواضحة) (باومان زيغمونت، الحداثة السائلة، 2017، ص25)، أي أنها ترفض كل ما هو قديم وتدعو التجديد، لهذا أعلنت عن إنتقال الحداثة من مرحلة الصلابة والتي كانت تقوم على مشروع الممثل في بناء مؤسسات راسخة، ودول قوية ذات سيادة وهويات مستقر، بحيث ينظر إلى التقدم العلمي والتكنولوجي على أنه أدوات لتحرير الإنسان من قيود الطبيعة والتقاليد لتحقيق قدر أكبر من الحرية الفردية من خلال التحرر، وتوفير الحقوق المدنية والسياسية، وتمكين الفرد عبر العمل، إلا أن سرعان ما واجه هذا المشروع الواقع الذي اتولد فيه الأزمات الصادرة عن الإنسان خاصة في مجال السياسي بسبب نشوء الأنظمة الشمولية والفاشية والشيوعية التي قمعت الحريات الفردية .

كما نجد الرقابة الإجتماعية من بين العوامل التي تحد من حرية التعبير والإختلاف بعد فشل هذا المشروع وعدم تطابقه مع الواقع طرح باومان فكرته وجعل الحداثة تنتقل إلى المرحلة الثانية التي تعرف بالسيولة. بحيث تعرف عند بعض المفكرين بمصطلح "ما بعد الحداثة" في حين ينفرد باومان بمصطلح الحداثة السائلة ويشير من خلاله إلى حالة العالم المعاصر، وما طرأ عليه من تحولات مست كل جوانب الحياة الإنسانية، كالمجتمع، السلطة الأخلاق، المراقبة، الحب، والخوف... وغيرها فالسيولة بهذا المعنى لا تعترف بفكرة الثبات والصلابة، بل تفكك كل المفاهيم الصلبة وتحرر من الحقائق والمفاهيم، فبعد عام 1965 "تختفي الذات الإنسانية المستقلة الواعية، وإن وجدت فهي ذات منغلقة على نفسها وغير متماسكة، وغير قادرة على التواصل مع الآخرين" (عبد الوهاب المسيري، دراسات في الحداثة، 2006، ص34) تدل هذه العبارة عن الواقع الذي يعيشه الإنسان بعد إنتقاله من مرحلة الصلابة التي كانت تحرص على مكانة الإنسان وهويته وحرية داخل مجتمعه إلى مرحلة

أصبحت اللذة هي المسير للمجتمع العلماني الحديث من خلال الإغواء فهو شكل من أشكال القمع الخفي الذي يفرض على الفرد أن يمتلك الحق الوحيد ألا وهو الإستهلاك، وبالتالي يتم إشباع اللذة التي تعتبر أقصى تعبير عن الحرية الفردية .

قبل عام 1965 بالتحديد في مرحلة التحديث الصلبة كانت الذات تتميز بالتماسك والإستقرار أي هناك ترابط وتواصل بين الأفراد فيما بينهم، بحيث يمتلكون حرية التعبير والمطالبة بحقوقهم ومكانتهم ودورهم داخل مجتمعاتهم ،مستعملين اللغة العقلانية التي تعكس الواقع ومضمون الإنساني والأخلاقي وعلاقته بواقعه، أما بعد عام 1965 شهد العالم حركة إنتقالية أصبح الكائن البشري يسير وفق خوارزميات يتحكم فيها الذكاء الاصطناعي مما ينعكس عليه سلبيا وعلى علاقاته بغيره، مايجعل الذات الإنسانية المستقلة الواعية مقيدة تقتصر لعنصر الحرية فمرحلة الحداثة الصلبة كان الفرد مثل الآلة يتحكم فيها وتتحكم فيه اما في مرحلة الحداثة السائلة العالم يسير وفق ما تفرضه الآلة، فيصبح مبتكر الكمبيوتر والتقنية أول رهين وضحية لها فيتحول الإنسان من متحكم ومسيطر إلى متحكم فيه من طرف الآلة أو التقنية.

2. نتائج الدراسة:

نستخلص من خلال ما سبق ذكره أهم النتائج التي تعكس مرحلة الانتقال والتحول من الحادثة الصلبة إلى الحادثة السائلة حسة زيجمونت باومان والتي نحددها كما يلي:

1. الحادثة السائلة: وصف لسيولة العلاقات والهويات في العصر الحديث.
2. تفكك البنى الصلبة: تلاشي المؤسسات والقيم المستقرة في الحادثة الصلبة.
3. الفرد في عالم سائل: يصبح مسؤولاً عن بناء هويته في ظل التغير المستمر.
4. العولمة وتأثيرها على الفرد: انكشاف الفرد وتأثره بالقوى العالمية المتدفقة.
5. سيولة الزمان والمكان: مرونة وتغير مستمر في مفاهيمهما بفعل التقنيات.
6. هشاشة الروابط الاجتماعية: ضعف وتسطح العلاقات الإنسانية في الحادثة السائلة.
7. صعود الفردانية المفرطة: تركيز متزايد على الذات على حساب الجماعة والروابط.
8. الاستهلاك وتشكيل الهوية: يصبح وسيلة أساسية للتعبير عن الذات في غياب الثوابت.
9. القلق الوجودي: ينشأ نتيجة فقدان اليقين والاستقرار في عالم متغير.
10. البحث عن الأمان: سعي الفرد لإيجاد بدائل للاستقرار المفقود في عالم سائل.
11. دور التكنولوجيا الرقمية: تسريع وتيرة السيولة والتغيير في مختلف جوانب الحياة.
12. تغير طبيعة العمل: نحو المرونة والعالمية، وفقدان الاستقرار الوظيفي التقليدي.
13. تأثير السيولة على السياسة: ضعف الولاءات التقليدية وصعود حركات جديدة غير مستقرة.
14. تساؤل دور الدولة: محدودية تأثيرها في ظل القوى العابرة للحدود والسيولة.
15. الحاجة إلى مهارات التكيف: ضرورة تطوير المرونة والقدرة على التعلم المستمر في التعليم.
16. تنوع أشكال الأسرة: تغير مفهومها التقليدي نحو أشكال أكثر سيولة وتعددًا.

17. تحديات أخلاقية جديدة: صعوبة تحديد القيم والمعايير في عالم متغير.
18. صعود النسبية الثقافية: تراجع فكرة الحقائق والقيم المطلقة والثابتة.
19. تأثير السيولة على الصحة النفسية: ارتفاع مستويات التوتر والقلق والاكتئاب.
20. تغير مفهوم السلطة: نحو الانتشار واللامركزية في أشكالها وتأثيرها.
21. تحديات قانونية جديدة: ضرورة تطوير قوانين تتواءم مع التغيرات السريعة.
22. صعود حركات اجتماعية جديدة: تعبر عن قضايا الهوية والبيئة في عالم سائل.
23. انعكاس السيولة في الفن والأدب: التجريب والتعبير عن حالة عدم الاستقرار خاصة أمام سقوط النخبة وصعود الشعبوية وسلطة فن التفاهة.
24. تغير معايير الجمال: نحو التنوع والمرونة والخضوع للموضة المتغيرة.
25. تأثير السيولة على الدين: تراجع المؤسسات التقليدية وصعود أشكال تدين فردية.
26. صعود الشعبوية والقومية: رد فعل على السيولة والعولمة بحثاً عن هوية ثابتة.
27. تفاقم أزمات الهجرة واللاجئين: تأثير السيولة على الهوية والانتماء والنزوح.
28. تعقيد مفهوم المواطنة: في ظل العولمة والهويات المتعددة والمتغيرة.
29. نشوء مدن عابرة للثقافات: تأثير السيولة على التخطيط الحضري والهويات المكانية.
30. تأثير الشركات متعددة الجنسيات: على الاقتصادات الوطنية والهويات المحلية.
31. تغير اللغة وتأثير التقنيات: نشوء لغات هجينة وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي.
32. تأثير الحاضر على فهم التاريخ: انتقائية الذاكرة وتأثرها بال لحظة الراهنة.
33. دور الإعلام الرقمي المتزايد: تأثيره على الرأي العام وتشكيل الوعي في عالم سائل.
34. صعود ثقافة المشاهير وتأثيرها: على قيم وسلوكيات الأفراد في غياب نماذج ثابتة.
35. الحاجة إلى مناهج بحث جديدة: للتعامل مع تعقيد الظواهر في عالم سائل.
36. تغير مفهوم الحقيقة والمعرفة: نحو النسبية والتأثر بالمنظور الفردي والجماعي.
37. تأثير السيولة على العلاقات الدولية: نشوء تحالفات غير مستقرة وتغير موازين القوى.

38. صعود الحركات البيئية كرد فعل: على التدهور الناتج عن الحداثة وما بعد الحداثة.

39. تعقيد مفهوم التقدم: تشكيك ونظرة نقدية في ظل التحديات المعاصرة.

3. مناقشة وتحليل نتائج الدراسة:

نستخلص من خلال النتائج السالفة الذكر أن الحداثة شهدت تحول ابستيمي جوهري من خلال الانتقال من الصلابة والاستقرار إلى السيولة والتغير المستمر، ما حاولنا تحليله وتحديد أهم النقاط التي نحددها كما يلي:

1. مركزية مفهوم الحداثة السائلة: كإطار لفهم التحديات المعاصرة وتفكك البنى التقليدية.
2. تأثير العولمة المتزايد: كقوة دافعة للسيولة وتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.
3. تفكك الهويات الجمعية التقليدية: وبروز هويات فردية أكثر مرونة من خلال نشوء هويات جماعية جديدة في الفضاء الرقمي كبداية للانتماءات التقليدية.
4. دور الاستهلاك في بناء الذات: وتحوله من تلبية حاجات إلى تعبير عن الهوية.
5. صعود الفردانية وتراجع سلطة الجماعة: وتأثير ذلك على التماسك الاجتماعي.
6. تأثير التكنولوجيا الرقمية العميق: تسريعها لوتيرة التغير وتشكيلها للعلاقات.
7. تغير مفهومي الزمان والمكان: تأثيرهما على إدراكنا للعالم وتفاعلاتنا فيه.
8. القلق الوجودي كنتيجة لفقدان اليقين: السعي الفردي والمجتمعي للتكيف معه.
9. تحديات أخلاقية جديدة في عالم متغير: صعوبة إرساء قيم ومعايير ثابتة.
10. صعود النسبية الثقافية وتأثيرها على الحقائق المشتركة: وتحدي المفاهيم الموضوعية.
11. تأثير السيولة على المؤسسات التقليدية: وضعف سلطتها وتأثيرها في حياة الأفراد.
12. تطور مفهوم الأسرة وأشكالها المتنوعة: وتأثير ذلك على التنشئة الاجتماعية.
13. تأثير السيولة على التعليم وضرورة تطوير مهارات التكيف: لمواجهة المستقبل غير المتوقع.

14. صعود الحركات الاجتماعية الجديدة كرد فعل على السيولة: والتعبير عن قضايا الهوية والعدالة.
15. تحليل صعود الشعبوية والقومية كاستجابة للسيولة: ورغبة في استعادة اليقين والهوية الثابتة.
16. تأثير التخطيط الحضري على بناء الهويات المكانية في ظل السيولة: وتحديات خلق مجتمعات متماسكة.
17. تأثير اللغة الهجينة ووسائل التواصل على الهوية اللغوية: وتحديات الحفاظ على اللغة الأم.
18. إعادة قراءة التاريخ والذاكرة في ضوء الحاضر السائل: وتأثير التحيزات المعاصرة على فهم الماضي.
19. دور الإعلام الرقمي في تشكيل الوعي الجمعي في عالم سائل: وتحديات الأخبار الكاذبة والتضليل.
20. تأثير ثقافة المشاهير على القيم والسلوكيات في غياب نماذج تقليدية ثابتة: وتحديات بناء نماذج إيجابية.
21. الحاجة إلى مناهج بحثية جديدة لفهم تعقيدات الحداثة السائلة: وتجاوز المقاربات التقليدية.
22. إعادة تقييم مفهوم التقدم في ضوء الأزمات المعاصرة: وتحديات الاستدامة والعدالة الاجتماعية.
23. أهمية دور المؤسسات الثقافية في الحفاظ على الذاكرة الجماعية في وجه النسيان الذي تفرضه السيولة: وتعزيز الهوية المشتركة.
24. تحليل العلاقة بين السيولة الاقتصادية والاجتماعية وتأثيرها المتبادل على الاستقرار: وتحديات تحقيق العدالة الاقتصادية في عالم متغير.

المبحث الثالث: أزمة المجتمع الإستهلاكي وصراع الهويات السائلة أمام رهانات السلطة الرقمية والذكاء الاصطناعي

1. أزمة المجتمع السائل من الإستهلاك مادي إلى الإستهلاك الرقمي:

إنطلق الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه وتحليله النقدي للحدث، والذي تجلى في إعلانه عن "موت الإله" كمؤشر على أفول سلطة النسق الديني وهيمنته على تفسير الوجود. وتبعاً لهذا التحول المعرفي، برزت إشكاليات مفاهيمية جديدة تمثلت في "موت الإنسان" و"موت الواقع" و"موت المعنى"، لتشكل بذلك تحديات أنطولوجية ومعرفية عميقة ما زالت تتردد أصدائها في سياقات حياتنا المعاصرة، وقد تعزز هذا التحول الذي أفضى إلى نشوء ما يُعرف بمجتمع ما بعد الحدث أو الحدث السائلة وفقاً لتوصيف زيجمونت باومان، بفعل التطورات المتسارعة في حقول العلوم والتكنولوجيا لا سيما مع انبثاق الثورة الرقمية والمعلوماتية التي كان لها بالغ الأثر في تعزيز النزعات الفردانية، وإعادة تشكيل فهمنا لمفهوم الخصوصية في العصر الراهن. أدى ذلك إلى ظهور عدة "تحولات منها التحولات التي طرأت على الحياة المعاصرة توجي بانتصار العقلانية الرقمية أو العقلانية التقنوعلمية التي حولت كل شئ إلى سلعة إستهلاكية تنتهي بإنتهائها صلاحيتها ونفعها، ما أثر سلباً على سيكولوجية إنسان ما بعد الحدث بحيث تتحكم فيه الآلة وتحول الإنسان إلى مستهلك شامل كما يقول "إريك فروم" (Erich Fromm (1980/1900) همه الأساسي هو أن يملك المزيد ويستخدم أكثر..." (إفروم، ثورة الأمل نحو التكنولوجيا مؤسنة، 2010، ص70) ما يعني أن التحولات الجذرية التي طرأت على أنماط الحياة المعاصرة كنتيجة حتمية للتطورات التكنولوجية، خاصة في مجالات الرقمنة والعقلنة التقنية. هذه التحولات التي تتسم بتسارع وتيرة الاستهلاك وتشيء الأفراد تحدث تأثيرات عميقة على البنية السيكولوجية للإنسان الحديث.

يصنف زيجمونت باومان أحد أبرز المنظرين الاجتماعيين الذين قاموا بتشخيص وتحليل طبيعة التحولات الجذرية التي تطرأ على المجتمعات الحديثة في عصر ما بعد الحداثة والتي وصفها بـ "الحداثة السائلة"، هذه الاستعارة البليغة تعكس حالة السيولة وعدم الاستقرار، والتحول المستمر التي تطبع مختلف جوانب حياتنا الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والثقافية في مقابل "الحداثة الصلبة" التي تميزت ببنى اجتماعية، واقتصادية، وسياسية أكثر رسوخاً واستقراراً، يشهد المجتمع السائل تفككاً متزايداً لهذه البنى، وتلاشياً لليقينيات، والمعايير الثابتة، وبروزاً لعالم يتميز بالهشاشة والمرونة المفرطة، حيث يحتل مفهوم الاستهلاك مكانة مركزية في فهم أزمة المجتمع السائل خاصة مع الانتقال من أنماط الاستهلاك المادي إلى أنماط الاستهلاك الرقمي التي تحمل معها تحديات وفرصاً جديدة.

يمثل الإستهلاك المادي خلال المراحل الأولى من الحداثة السائلة حسب تصور محرراً أساسياً لتشكيل الهوية الفردية وتحديد المكانة الاجتماعية، حيث لم تعد السلع والمنتجات مجرد أدوات لإشباع الحاجات الأساسية، بل تحولت إلى رموز دالة تستخدم في عملية بناء الذات والتميز عن الآخرين. وقد نشأت عن ذلك ثقافة استهلاكية قوية تقوم على مبدأ الرغبة المستمرة في الاقتناء والتجديد، حيث يتم حث الأفراد بشكل دائم على الانخراط في دورة لا تنتهي من الاستهلاك مدفوعين بالإعلانات ووسائل الإعلام التي تربط السعادة والنجاح بالقدرة على الاستهلاك. غير أن هذه الثقافة الاستهلاكية المادية أنتجت في طياتها أزمة متعددة الأوجه أهمها:

➤ هشاشة بناء الهوية الفردية: حيث أصبحت الهوية مرتبطة بممتلكات مادية قابلة للتقادم والتغير السريع، مما يجعل الأفراد في حالة بحث دائم عن رموز استهلاكية جديدة لتعزيز شعورهم بالذات.

◀ تأكل الروابط الاجتماعية المتينة والقائمة على التضامن والتعاون، لصالح علاقات أكثر نفعية وسطحية وعابرة، حيث أصبح التركيز على تحقيق المصالح الفردية من خلال الاستهلاك.

◀ الشعور المتزايد بالاغتراب والاستلاب، حيث يجد الأفراد أنفسهم منخرطين في دورة استهلاكية لا نهائية لا تحقق لهم بالضرورة إشباعًا حقيقيًا أو معنى وجوديًا أعمق.

◀ بروز مشاكل بيئية، واقتصادية، واجتماعية تتعلق بالاستنزاف المفرط للموارد وتوليد النفايات وعدم المساواة في توزيع الثروة.

يشير باومان مع ظهور وتوسع الفضاء الرقمي في العقود الأخيرة إلى أن أزمة المجتمع السائل تتفاقم وتتخذ أبعادًا أكثر تعقيدًا وتأثيرًا من خلال التحول نحو الاستهلاك الرقمي. هذا التحول لا يقتصر فقط على شراء السلع المادية عبر الإنترنت، بل يمتد ليشمل استهلاك طيف واسع من الخدمات الرقمية، والمحتوى الترفيهي والمعلوماتي، والتجارب الافتراضية التي توفرها المنصات الرقمية المتنوعة مثل وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقات البث، والألعاب الإلكترونية، والعوالم الافتراضية، والذكاء الاصطناعي... هذا التحول الرقمي يضاعف بشكل كبير من سرعة السيولة وعدم الاستقرار في المجتمع. في حين كانت دورات الاستهلاك المادي تستغرق وقتًا أطول، تتغير الاتجاهات الاستهلاكية الرقمية بوتيرة أسرع بكثير، حيث تظهر تطبيقات ومنصات جديدة وتختفي أخرى بسرعة فائقة، مما يضع الأفراد تحت ضغط مستمر لمواكبة أحدث التقنيات والتطبيقات والمنصات الرقمية، الأمر الذي يزيد من شعورهم بالتشتت والقلق من التخلف.

يعزز العالم الرقمي النزعات الفردية والعزلة الاجتماعية بطرق جديدة ومقلقة. ففي حين يتيح الفضاء الرقمي للأفراد بناء هويات افتراضية والتعبير عن ذواتهم في بيئات رقمية قد تكون منفصلة تمامًا عن واقعهم الاجتماعي المادي، فإنه في الوقت نفسه يقلل من الحاجة إلى التفاعلات الاجتماعية المباشرة والحقيقية التي تعتبر أساسية لبناء الثقة والتضامن الاجتماعي

وتنمية الشعور بالانتماء للمجتمع. كما أن طبيعة العلاقات التي تتشكل في الفضاء الرقمي التي غالبًا ما تكون سطحية وعابرة، قوامها التفاعلات اللحظية والإعجابات والتعليقات الرقمية، وتفتقر إلى العمق والتواصل الإنساني الغني الذي يميز العلاقات الحقيقية القائمة على التقارب الجسدي والتعاطف المباشر.

تتجلى أزمة المجتمع السائل في الاستهلاك الرقمي أيضًا في الانتشار المتزايد لما يمكن تسميته بـ "ثقافة تسويق الذات" التي تشجعها منصات التواصل الاجتماعي بشكل خاص. ففي هذه البيئات الرقمية، يصبح الأفراد سلعة يتم عرضها وتسويقها للحصول على الاهتمام والاعتراف الرقمي من خلال عدد الإعجابات والمتابعين والتعليقات، مما قد يؤدي إلى تضخم الأنا والشعور بالسطحية والتركيز المفرط على الصورة الذاتية المصطنعة. كما أن سهولة الوصول غير المسبوقة إلى مجموعة واسعة من السلع والخدمات والمعلومات عبر الإنترنت تزيد من إغراء الاستهلاك الاندفاعي والإدمان الرقمي، حيث يصبح التفاعل المستمر مع الشاشات والتطبيقات والمنصات الرقمية وسيلة للهروب من المشاعر السلبية أو تعويض النقص العاطفي والاجتماعي، مما يؤدي إلى دورة مفرغة من الاستهلاك الرقمي الذي لا يحقق إشباعًا حقيقيًا.

يشير الاستهلاك الرقمي تحديات جديدة ومهمة تتعلق بالخصوصية والمراقبة. ففي هذا العالم الرقمي يتم جمع وتحليل كميات هائلة من البيانات الشخصية للمستخدمين بشكل مستمر من قبل الشركات والمنصات الرقمية بهدف توجيه سلوكهم الاستهلاكي، والتأثير عليهم من خلال الإعلانات المستهدفة والتوصيات الشخصية، هذه الممارسات تثير مخاوف جدية بشأن حرية الأفراد واستقلاليتهم وحقوقهم في الخصوصية، حيث يصبحون عرضة للتلاعب والتأثير الخفي من قبل قوى السوق الرقمية. إن فهم هذه الأبعاد المتعددة والمعقدة لأزمة المجتمع السائل في سياق التحول العميق من الاستهلاك المادي إلى الاستهلاك الرقمي، كما يحللها باومان بعمق ووضوح، يوفر لنا رؤى نقدية حاسمة حول التحديات الجوهرية التي تواجه مجتمعاتنا

المعاصرة ويستدعي تفكيراً جدياً ومسؤولاً في سبل تجاوز هذه الأزمة نحو بناء مجتمعات أكثر تماسكاً واستدامة وإنسانية في هذا العصر الرقمي المتغير باستمرار.

يعكس هذا التحول انعكاساً خطيراً في العلاقة بين الإنسان والتقنية، حيث تصبح التقنية هي التي تملّي الأهداف وتوجه المسارات، مما قد يؤدي إلى تهميش القدرة الإنسانية على التفكير النقدي وتحديد الغايات بشكل مستقل وأصيل، لتصبح "غاياتنا الأخرى - بكلياتها - غداً" في ظل سطوة الحلول التقنية الجاهزة، فهذا مانجده في قول هابرماس y.Hebermas 1929 "إن قوة المحرر للتكنولوجيا تحول الأشياء إلى أدوات تتقلب إلى قيد على التحرر وتحول الإنسان إلى أداة" (هابرماس، 2003، ص5)، ما يدفعنا أن نتأمل في العلاقة بين التقنية والحضارة الإنسانية، يقودنا ذلك حتماً إلى استحضار الرؤى النقدية العميقة التي طرحها رواد المدرسة النقدية ماكس هوركهايمر، وثيودور أدورنوفي 'جدل التنوير' عن مفارقة جوهرية تستدعي التفكير ملياً، كما نبّه الفيلسوفان إلى أن المسار المتسارع لاستغلال الطبيعة، والذي تغذيه وتعمقه الأدوات التقنية المتطورة، ما يدعم ذلك قول ماكس هوركهايمر وأدورنو "Max Horkheimer, Theodor Adorno" الذين إتفقوا على فكرة أن الإحيائية أعطت روحاً للشئ، أما الانتماء للصناعة فقد حول روح الإنسان إلى شئ " (هوركهيمر وأدورنو، جدل التنوير، 2006، ص48)، ففي قلب هذا الاستغلال الجامح تتلاشى تدريجياً ملامح الروح الإنسانية الأصيلة، ليحل محلها نوع من التشييء والاغتراب واللايقين.

يفرض علينا ذلك إعادة تقييم جذري ليس فقط لطبيعة هذه العلاقة، بل أيضاً لمسار تطورنا الحضاري برمتي كونه أضحى يهدد أسس وجودنا الإنساني وقيمنا الجوهرية، لأن التغيرات المستمرة تبرز مسألة تأثير التغلغل المتزايد للتقنيات الرقمية على مفاهيم الهوية الثقافية، والاجتماعية كإشكالية محورية تستدعي التمعن والتحليل، هكذا "ضاع مبدأ الواقع في متاهة المصطنعات (الصور) اللامتناهية المتخيلة والوهمية التي تروجها الميديا وبذلك يفقد الواقع وجوده ويصبح تلك الوسخ المصطنعة رقمياً عبر أجهزة الكمبيوتر، وعليه فإننا نعيش في عالم

فوق الواقع وهو العالم التكنولوجي الافتراضي (بودريار، 2008، ص18). تستعرض هذه الفقرة رؤى زيجمونت باومان، صاحب المقاربة السوسيولوجية للحدث السائلة بحيث يقدم تحليلات معمقة حول الكيفية التي تعيد بها الوسائط الرقمية تشكيل تفاعلاتنا وهوياتنا. ففي ظل الثورة الرقمية غير المسبوقة لم تعد البيانات الشخصية مجرد معلومات ساكنة، بل تحولت إلى عنصر ديناميكي يتم جمعه وتحليله وتوظيفه على نطاق واسع، ما يثير تساؤلات جوهرية حول الخصوصية، والسيطرة والتأثير العميق على الهويات الفردية والجماعية.

يقدم باومان تصوره عن "الحدث السائلة" التي تتسم بالسيولة وعدم الاستقرار وتفكك البنى الاجتماعية التقليدية ليشمل هذا الوصف طبيعة الهوية نفسها التي لم تعد كياناً ثابتاً، بل مشروعاً مستمراً لإعادة التشكيل في خضم التدفق الرقمي، كما يؤكد باومان أن التحولات الرقمية تحمل في طياتها فرصاً وتحديات متلازمة، فبينما تتيح التقنيات الرقمية إمكانيات واسعة، فإنها تثير أيضاً مخاوف بشأن فقدان الخصوصية وتعميق الفجوات الاجتماعية وتأثير الخوارزميات على الوعي، كما كشف التحليل المعمق لأزمة المجتمع السائل في سياق انتقاله المحوري من الاستهلاك المادي الذي اتسم بصلابة نسبية إلى الاستهلاك الرقمي المتمسم بالسيولة والآنية، عن نتائج بالغة الأهمية تستوجب تدقيقاً نظرياً وتفسيراً سوسيولوجياً معمقاً.

2. استخلاص أهم النتائج :

نستخلص من خلال المقاربة الإبستمولوجية للحدث السائلة وصراه الهويات أمام سلطة التقنية والعقل الأداتي في عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي جملة من النتائج التي نحددها كما يلي:

1. تفكك الروابط الاجتماعية الصلبة وتحولها إلى علاقات رقمية هشة وعابرة: إن الاستهلاك

المادي في السابق كان مرتبطاً بتفاعلات اجتماعية واقعية، سواء عبر التبادل التجاري المباشر أو من خلال اقتناء سلع تعزز مكانة الفرد في محيطه الاجتماعي المادي، بينما الاستهلاك الرقمي يميل إلى أن يكون تجربة فردية معزولة تتم في فضاء افتراضي. هذا الانتقال يضعف من التماسك الاجتماعي القائم على التفاعل المباشر ويؤسس لعلاقات أكثر سطحية وقابلة للتبدل السريع، حيث يصبح "الصديق" أو "المتابع" الرقمي بديلاً عن الرفيق الواقعي، وتتسم هذه العلاقات الرقمية بقدر أقل من الالتزام والعمق.

2. تأثير الخوارزميات والذكاء الاصطناعي على توجيه الرغبات الاستهلاكية: المجتمع الرقمي

لم يعد المستهلك هو الفاعل الوحيد في عملية الاختيار، بل تلعب الخوارزميات دوراً متزايد الأهمية في تشكيل تفضيلاته وتوجيه قراراته الاستهلاكية من خلال تحليل البيانات الشخصية وسلوكيات التصفح، تستطيع هذه الخوارزميات التنبؤ بما يرغب فيه الفرد وتقديمه له في الوقت المناسب، مما يخلق نوعاً من الاستهلاك "الموجه" الذي يقلل من حرية الاختيار الحقيقية ويزيد من التبعية للأنظمة الرقمية. هذا التدخل الخوارزمي يهدد مفهوم السيادة الفردية في اتخاذ القرارات الاستهلاكية، ويؤسس لنظام اقتصادي يعتمد بشكل كبير على التلاعب بالرغبات الرقمية.

3. توسع الفجوة الرقمية وتعميق عدم المساواة الاجتماعية: إن التحول إلى الاستهلاك الرقمي

لا يتم بوتيرة واحدة بالنسبة لجميع فئات المجتمع. أولئك الذين يمتلكون القدرة على الوصول

إلى التكنولوجيا الرقمية، والمهارات اللازمة لاستخدامها يستفيدون من الفرص التي يتيحها هذا التحول، بينما يجد أولئك الذين يفتقرون إلى هذه الموارد أنفسهم على هامش المجتمع الرقمي، ما يزيد من عزلتهم الاجتماعية والاقتصادية. هذا التفاوت في الوصول والاستخدام يفاقم من أوجه عدم المساواة القائمة ويخلق طبقات جديدة من "المستبعدين رقمياً" الذين يواجهون صعوبات متزايدة في الاندماج في المجتمع المعاصر الذي يعتمد بشكل متزايد على التكنولوجيا الرقمية في مختلف جوانب الحياة.

3. تحليل ومناقشة النتائج :

يمكن تفسير النتائج المتحصل عليها من خلال هذه المقاربة الفلسفية لأزمة المجتمع السائل في سياق التحول من الاستهلاك المادي إلى الرقمي بأنها أزمة هوية، وأزمة علاقات اجتماعية، وأزمة قيم استهلاكية، وأزمة سيادة فردية، وأزمة عدالة اجتماعية. إن سيولة العالم الرقمي بما تفرضه من سرعة وتغير مستمر تقوض الأسس الصلبة التي كانت تقوم عليها المجتمعات الحديثة، وتطرح تحديات جوهرية أمام الأفراد والمؤسسات على حد سواء يتطلب فهم هذه الأزمة جهوداً بحثية مستمرة ومتعددة التخصصات من أجل تطوير استراتيجيات فعالة للتكيف مع هذا الواقع الرقمي الجديد، والتخفيف من آثاره السلبية المحتملة على النسيج الاجتماعي والرفاه الفردي. إن وعينا بهذه التحولات العميقة هو الخطوة الأولى نحو بناء مجتمع رقمي أكثر استدامة وعدالة وإنصافاً، ما يجعلنا نحدد جملة النتائج التالي:

1. تأثير الرقمية على العلاقات الاجتماعية: تحويلها من علاقات واقعية إلى افتراضية مع ما يصاحب ذلك من تغيرات في طبيعتها وعمقها.
2. تحديات بناء الثقة في الفضاء الرقمي: وصعوبة التحقق من الهويات والمصادقية في البيئات الافتراضية.
3. تأثير الخوارزميات على توجيه الرغبات الاستهلاكية: وتقليل دور الإرادة الحرة في اتخاذ القرارات الشرائية.
4. تشكيل "الموجه" الاستهلاكي: كنتيجة لتأثير الخوارزميات، مما يقود إلى نوع من الاستهلاك الآلي والموجه.
5. تأثير الرقمية على النظام الاقتصادي: وزيادة التركيز على التجارة الإلكترونية والأسواق الافتراضية.

6. توسع الفجوة الرقمية: كنتيجة لعدم تكافؤ الفرص في الوصول إلى التكنولوجيا الرقمية واستخدامها.
7. ظهور "المستهلك الرقمي": كنمط جديد من المستهلك يتميز بخصائص وسلوكيات مختلفة.
8. تحول في مفهوم المجتمع: من مجتمعات تقليدية ذات روابط قوية إلى مجتمعات رقمية أكثر مرونة وتككًا.
9. تأثير الرقمية على القيم الاجتماعية: وتحدي القيم التقليدية وظهور قيم جديدة مرتبطة بالفضاء الرقمي.
10. تأثير الرقمية على الهوية الفردية: وإمكانية بناء هويات سائلة متعددة وافتراضية في العالم الرقمي.
11. تحديات الخصوصية والأمن في الفضاء الرقمي: وضرورة وضع آليات لحماية البيانات والمعلومات الشخصية.
12. تأثير الرقمية على التعليم والتعلم: وظهور أساليب تعليمية جديدة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية.
13. تأثير الرقمية على الفن والثقافة: وظهور أشكال فنية جديدة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية.
14. تأثير الرقمية على التنمية المستدامة: وإمكانية استخدام التكنولوجيا الرقمية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.
15. تأثير الرقمية على اللغة والتواصل: وظهور لغات جديدة وأنماط تواصل مختلفة في الفضاء الرقمي.
16. تأثير الرقمية على الذاكرة والتاريخ: وإمكانية حفظ وتوثيق كميات هائلة من المعلومات والبيانات.

17. تأثير الرقمية على الفلسفة والأخلاق: وظهور أسئلة فلسفية وأخلاقية جديدة مرتبطة بالتكنولوجيا الرقمية.
18. تأثير الرقمية على الفجوة بين الأجيال: واختلاف طرق استخدام التكنولوجيا الرقمية بين الأجيال المختلفة.
19. تأثير الرقمية على الرقابة والحرية: وإمكانية استخدام التكنولوجيا الرقمية للرقابة على الإنترنت وتقييد حرية التعبير.

الخطمة

ختم هذه الدراسة الفلسفية التي استهدفت استجلاء إشكالية الحرية في ظل التوسع الهائل لنفوذ الذكاء الاصطناعي في عصر الرقمنة، وتأثيره المتبادل والمعقد على مفهوم الخصوصية، نجد أنفسنا أمام مفترق طرق حاسم يستدعي تفكيراً فلسفياً منهجياً يتجاوز الوصف السطحي للظواهر التقنية. لقد تبين لنا أن صعود الذكاء الاصطناعي ليس مجرد إضافة نوعية للأدوات التكنولوجية المتاحة للإنسان، بل يمثل تحولاً بنيوياً يمس جوهر الوجود الإنساني وعلاقته بالعالم وبالأخرين. إن القدرات غير المسبوقة التي تتمتع بها الأنظمة الذكية في جمع البيانات وتحليلها واستخلاص الأنماط والتنبؤ بالسلوك البشري تثير تساؤلات عميقة حول مدى بقاء الإنسان سيد إرادته وقراراته في عالم بات محكوماً بشكل متزايد بخوارزميات معقدة تتجاوز في كثير من الأحيان قدرته على الفهم والسيطرة.

تعيد إشكالية الحرية في عصر الذكاء الاصطناعي طرح أسئلة عريضة حول طبيعة الإرادة الحرة والحتمية. فإذا كانت الأنظمة الذكية قادرة على التنبؤ بسلوكنا وتوجيهه بناءً على تحليل كميات هائلة من البيانات، فإلى أي مدى يمكننا اعتبار أفعالنا نابعة من اختيار حر ومستقل؟ هل نحن أمام شكل جديد من أشكال الحتمية التكنولوجية التي تقوض الأسس الأنطولوجية للحرية الإنسانية؟

يستدعي هذه التساؤل العودة إلى جذور النقاش الفلسفي حول العلاقة بين الوعي والإرادة والسببية، وإعادة فحصه في ضوء القدرات التنبؤية والتوجيهية المتزايدة للذكاء الاصطناعي. كما يفرض علينا التفكير في مفهوم جديد للفاعلية الإنسانية في عالم لم يعد فيه الفعل الإنساني هو المصدر الوحيد للتأثير في مسار الأحداث. أما فيما يتعلق بمفهوم الخصوصية، فإن تأثير الذكاء الاصطناعي في زمن الرقمنة يتجاوز مجرد تهديد لحماية المعلومات الشخصية، إنه يمثل تحدياً وجودياً لذاتية الفرد واستقلاليته، فالقدرة على جمع وتحليل كميات هائلة من البيانات حول أدق تفاصيل حياتنا اليومية، من عاداتنا الاستهلاكية إلى تفاعلاتنا الاجتماعية وعواطفنا الداخلية، تخلق صورة رقمية شاملة للفرد قد تكون أكثر اكتمالاً وواقعية من تصوره الذاتي لذاته.

يشير ذلك مخاوف جدية حول إمكانية التلاعب بنا والتأثير في قراراتنا بشكل خفي وغير مباشر، ويقوض الأسس الفلسفية التي تقوم عليها كرامة الفرد وحقه في الحفاظ على مساحة خاصة بمنأى عن تدخل الآخرين ومراقبتهم. من الناحية المنهجية، تتطلب دراسة هذه الإشكالية اعتماد مقارنة متعددة التخصصات تجمع بين التحليل الفلسفي والاجتماعي والقانوني والأخلاقي. لا يمكن فهم التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على الحرية والخصوصية بمعزل عن السياقات الاجتماعية والثقافية التي يتطور فيها وينتشر، كما أن الأطر القانونية الحالية قد لا تكون كافية لمواكبة السرعة الهائلة للتطورات التكنولوجية وحماية الحقوق الأساسية للأفراد في هذا الفضاء الرقمي الجديد، لذلك يصبح من الضروري تطوير أدوات تحليلية جديدة ومفاهيم قانونية وأخلاقية مبتكرة تستطيع التعامل مع هذه التحديات المعقدة والمتداخلة.

إن مفهوم "الرقمنة" ذاته ليس كياناً محايداً، بل يحمل في طياته مجموعة من القيم والأيديولوجيات التي تشكل طريقة فهمنا للحرية والخصوصية. فالتركيز المتزايد على جمع البيانات وتحليلها بهدف تحقيق الكفاءة والربحية قد يطغى على الاعتبارات المتعلقة بحقوق الأفراد وكرامتهم. لذلك، يصبح من الضروري إجراء نقد فلسفي معمق لهذه الأيديولوجيات الكامنة وراء الرقمنة وتفكيك الافتراضات التي تقوم عليها حول العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع والفرد.

يجب أن يستهدف هذا النقد الكشف عن آليات السلطة الكامنة في الأنظمة الرقمية وكيف يمكن لهذه الآليات أن تقوض الحرية والخصوصية بشكل غير مباشر علاوة على ذلك يجب أن يتضمن تحليلنا الفلسفي والمنهجي استكشافاً دقيقاً لكيفية تفاعل الذكاء الاصطناعي مع هياكل السلطة القائمة في المجتمع. لكن هل يؤدي انتشار الذكاء الاصطناعي إلى تعزيز هذه الهياكل وتعميق أوجه عدم المساواة القائمة، أم أنه يفتح إمكانيات جديدة لتوزيع السلطة وتمكين الأفراد والمجتمعات المهمشة؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب فحصاً نقدياً لكيفية تصميم وتطوير ونشر تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مع الأخذ في الاعتبار التأثيرات المحتملة

لهذه التطبيقات على التوزيع العادل للموارد والسلطة في المجتمع. إن إشكالية الحرية والخصوصية في زمن الرقمنة لا تقتصر على المستوى الفردي، بل تمتد لتشمل المستوى الجماعي والمجتمعي.

تشير إشكالية الحرية والخصوصية في سياق الذكاء الاصطناعي مجموعة من المعضلات الأخلاقية المعقدة، ما تتطلب تطوير إطار أخلاقي متين يستند إلى قيم إنسانية عالمية ويأخذ في الاعتبار السياقات الثقافية والاجتماعية المتنوعة. في ضوء التحولات العميقة التي يشهدها عالمنا بفعل الرقمنة وصعود الذكاء الاصطناعي، يصبح من الضروري إعادة تقييم المفاهيم الفلسفية الأساسية التي تشكل فهمنا للحرية والخصوصية. قد نحتاج إلى تطوير مفاهيم جديدة تأخذ في الاعتبار الطبيعة المتغيرة للعلاقات بين الإنسان والتكنولوجيا، والطرق الجديدة التي يتم بها ممارسة السلطة والتأثير في هذا الفضاء الرقمي. إن هذا الجهد الفلسفي يجب أن يكون مستمرًا وديناميكيًا، يتكيف مع التطورات التكنولوجية المتسارعة ويستجيب للتحديات الجديدة التي تظهر باستمرار.

ختامًا يمكن القول إن إشكالية الحرية وتأثير الذكاء الاصطناعي على الخصوصية في زمن الرقمنة ليست مجرد تحد تقني أو قانوني، بل هي تحد فلسفي وجودي يمس جوهر ما يعنيه أن تكون إنسانًا في عالم يتشكل بشكل متزايد بفعل قوى الذكاء الاصطناعي. إن الإجابات التي سنقدمها لهذه الإشكالية سيكون لها تأثير عميق على مستقبل مجتمعاتنا وقيمنا الإنسانية. لذلك، يصبح من الضروري مواصلة البحث والتفكير النقدي والفاعل في هذه القضية الحيوية، من أجل صياغة مستقبل يحافظ على حريتنا وخصوصيتنا في وجه التحديات المتزايدة التي يفرضها علينا عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي، وفي ظل الحداثة السائلة، تصبح الهويات مشاريع مستمرة قيد الإنشاء والتفكيك. لم تعد الهويات ثابتة وموروثة، بل أصبحت مرنة وقابلة للتفاوض والتغيير. هذا يوفر قدرًا أكبر من الحرية الفردية، لكنه في الوقت نفسه يزيد من مسؤولية الفرد في تعريف ذاته وإيجاد معنى لوجوده.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر باللغة الفرنسية

- 1) Zygmunt Bauman, 2007, consuming life, Cambridge, polity press, collatéral social
- 2) Zygmunt Bauman , Leanidas »ouskis , 2013' moral Blindneçs the/1 loss of sensitivity , press

قائمة المصادر باللغة العربية

- 1/ باومان زيغمونت، (2001) ، الحرية ، تر فريال حسن خليفة ، بلد بيروت ، مكتبة مدبولي
- 2/ باومان زيغمونت، (2017) ، الحداثة السائلة، تر حجاج أبو جبر ، ط1، بيروت ، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 3/ زيغمونت باومان، (2017)، الحب السائل ، تر حجاج أبو جبر ، ط1، بيروت ، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 5/ زيغمونت باومان، (2017) ، الحياة السائلة، تر حجاج أبو جبر ، ط1، بيروت ، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 6/ زيغمونت باومان، (2017)، الأزمة السائلة ، تر حجاج أبو جبر، ط1، بيروت ، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 7/ زيغمونت باومان، (2017)، الأزمة السائلة في عصر اللايقين، حجاج أبو جبر ، ط1، بيروت ، دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر

- 8/ (زيغمونت باومان وآخرون، (2017) ،قوة الكلمات حوارات وأفكار، محمد علي عزب ،ط1، بغداد ،دار المدى
- 9/ زيغمونت باومان، (2018)، المراقبة السائلة ،ترحاج أبو جبر ،ط1، بيروت ،دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 10/ زيغمونت باومان، (2018)، الخوف السائل ،تر حجاج أبو جبر، ط1، بيروت ،دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- 11/ زيغمونت باومان، (2018)، الشر السائل ،تر حجاج أبو جبر، ط1، بيروت ،دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر

قائمة المراجع باللغة العربية

- 1/ ألان نوزين ، (1997)، نقد الحداثة، تر ط1، مصر ،مجلس الأعلى الثقافة
- 2/ أوغسطين ، (2006)، مدينة الله ،تر الخور أسقف يوحنا ،ط2، بيروت ،دار النسر المشرق.
- 3/ إدغار موران، (2010) نحو سياسة حضارية ، ط1، لبنان ،دار العربية للعلوم
- 4/ إريك فروم، (2010)، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، تر مجاهد عبد المنعم مجاهد ،ط1، القاهرة مكتبة دار الحكمة
- 5/ إليزا غودلنشر ار، (2019)، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الآنا في العصر الافتراضي ،ط1، المغرب ،بيروت ،المركز الثقافي الكتاب
- 6/ بوحناش نورة ، (2017) ،البيواتيقا والفلسفة من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتركي ،ط1، دار

- 8/تومي عبد القادر،(2009) ،العولمة فلسفتها ،مظاهرها ،تأثيراتها ،د.ط،دار الجامعية الإسكندرية
- 9/التركي فتحي ،(2016)،العقل و الحرية ،ط1،دار الروافد الثقافية
- 10/ثائر محمود وعطيات صادق ،(2006)،مقدمة في الذكاء الاصطناعي ،ط1،عملت الأردن ،مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع
- 11/الجابري محمد عابد ،(1998)،مفهوم العولمة ،د.ط،بيروت ،مركز الدراسات الوحدة العربية
- 12/جان بودريار،(2008)،المصطنع والإصطناع ،ط1، بيروت ،المنظمة العربية الترجمة
- 13/حوسن عبد الله أحمد جاد الكريم ،د.س ،ترويض العولمة،ط1،
- 14/سيارالجميل ،(1998) ،في مفهوم العولمة ،د.ط،بيروت ،مركز الدراسات الوحدة العربية.
- 15/سالم عبد البديع ،(2001)،تكنولوجيا والذكاء الإصطناعي ،ط2،القاهرة ،مطابع المؤسسة الأهلية للأجهزة العلمية ومهمات المكاتب
- 16/سوزان غرينفيلد ،(2017)،تغير العقل ،د.ط ،الكويت
- 17/الشرقاوي محمد ،(1996)،الذكاء الاصطناعي وشبكات العصبية ،د.ط، مصر ،مكتب مصري الحديث للنشر والتوزيع
- 18/شكري ،علي يوسف ،(2010)،حقوق الإنسان في ظل العولمة ،د.ط،عمان ،دار أسامة للنشر والتوزيع
- 19/كارل ماركس ،(1891)، العمل ورأس المال ،د.ط، موسكو ،دار التقدم

- 20/ طلعت عبد الحميد وآخرون، (2003)، الحادثة وما بعد الحادثة، دراسات في الأصول الفلسفية للتربية، د.ط، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية
- 21/ ماركيز هاربات، (1988)، الإنسان ذو البعد الواحد، ط3، بيروت، منشورات دار الآداب
- 22/ محمد أركون، (1990)، الإسلام و الحادثة، د.ط، الجزائر، دار الساقى للطباعة والنشر
- 23/ محمد الشيخ، ياسر الطايبي، (1996)، مقاربات في الحادثة وما بعد الحادثة، ط1، بيروت، دار الفلسفة للطباعة والنشر
- 24/ ماكس هوركهايمر وثيودور، (2006)، جدل التنوير، شفرات فلسفية، تر جورج كتوره، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد
- 25/ محمد سبيلا وعبد السلام عبد المنعم العالي، (2008)، الحادثة، ط3، المغرب، دار توبقال للنشر
- 26/ يورغن هابرماس، (2003)، العلم والتقنية لإيديولوجيا، تر علي مولا، ط1، ألمانيا، منشورات الجمل
- 27/ يوسف كرم، (2017)، تاريخ الفلسفة اليونانية، د.ط، دار الهنداوي

قائمة القواميس، والمعاجم

- 1/ (أندرية لالاند، (1996)، ط1، موسوعة لالاند فلسفية، تر خليل أحمد خليل، بيروت، دار إحياء تراث
- 2/ ابن منظور، (1996)، لسان العرب، د.ط، القاهرة، دار إحياء تراث العربي
- 3/ أمل عبد العزيز محمود، (1997)، الأداء القاموس العربي الشاملة، ط1، دار الراتب الجامعية

- 4/بطرس اللبناني، (1998)، محيط المحيط، قاموس مطول في اللغة العربية، د.ط، لبنان
،مكتبة لبنان الناشرون راحة رياض الصلح
- 5/جميل صليبا ،د.س،المعجم الفلسفي بألفاظ العربية و فرنسية و اللاتينية ،د.ط
،بيروت،دار الكتاب اللبناني
- 6/الحفنى عبد المنعم ،(د.س) ،المعجم الشامل المصطلحات فلسفية ،ط،بلد بيروت
- 7/حموي صبحي ،(2001)،المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،ط1،لبنان ،دار المشرق
- 8/سهيل إدريس،(د.س) ،المنهل ،قاموس ،عربي ،فرنسي
- 9/شريف محمد ،(1995)،موسوعة المصطلحات الكومبيوتر ،ط2،قاهرة ،دار المكتبة
الأكاديمية القاهرة
- G.G.granger.pense formelle et science de l’homme aubier .paris .1967.

قائمة المجلات والدوريات

- 1) رجاء طه محمد القاضي القحطاني وآخرون ،رؤيه نقديه لنظرية السيولة لزيغمونت
باومان مجله كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات ، العدد 29، جامعه الفيوم
- 2) هند محمد حميد الرصيفان وآخرون، الحداثه السائلة عند زيغمونت باورمان وانعكاساتها
على انواع الجرائم في المجتمع الاردني من وجهه اصحاب الاختصاص ،دراسه حاله
من المجتمع الاردني في المملكة الهاشمية، المجله العربيه للعلوم ونشر الابحاث العدد
14 ،مجلد 6 ،2022)

المواقع الإلكترونية

- 1) <http://dspace.univ-batna>
- 2) <https://alfikhr.blogspot.com/>

الفهرس

الفهرس

8-1		مقدمة عامة
04		الإشكالية
04		منهجية البحث

الفصل الأول: كرونولوجيا، وجنولوجيا المفهوم (مقاربة مفهومية وتأصيلية).

المبحث الأول: مفهوم الحرية و الحداثة

18		1-1 / الحرية الدلالة اللغوية
19		2-1 / الحرية الدلالة الإصطلاحية
22		3-1 / الحداثة الدلالة اللغوية
23		4-1 / الحداثة الدلالة الإصطلاحية
		المبحث الثاني: مقارنة مفهومية تأصيلية لمفهوم العولمة الاستهلاك الانسان الذكاء الاصطناعي
27		1/1 الانسان (الدلالة اللغوية)
27		2-1 / التعريف الإصطلاحي
29		1-2 / العولمة (الدلالة اللغوية)
		2-2 / العولمة التعريف الإصطلاحي
30		1-3 / الاستهلاك (الدلالة اللغوية)
31		2-3 / التعريف الإصطلاحي
31		1-4 / الذكاء الاصطناعي (الدلالة اللغوية)
32		2-4 / التعريف الإصطلاحي
32		
34		المبحث الثالث: المرجعية الفكرية والفلسفية لزيغمونت باومان

الفصل الثاني: الحداثة السائلة وصراع الحرية الفردية عند باومان

المبحث لأول: صراع الحداثة والعقلانية عند باومان

38		1-1 / من الحداثة إلى الحداثة السائلة
41		2-1 / نتائج الدراسة
42		3-1 / مناقشة النتائج

المبحث الثاني : أزمة الحرية الفردية ضمن جدلية الحداثة الصلبة والسائلة

47		1/مقايضة الحرية أمام الحماية الفردية
----	-------	--------------------------------------

49	 2-1/ نتائج الدراسة
52	 3-1/ مناقشة النتائج
	المبحث الثالث: أزمة المجتمع الإستهلاكي وصراع الهويات السائلة أمام رهنات السلطة الرقمية
	والذكاء الإصطناعي
55	 1. أزمة المجتمع السائل من الإستهلاك مادي إلى الإستهلاك الرقمي
61	 2. نتائج الدراسة
62	 3. مناقشة النتائج
66	 الخاتمة
71	 قائمة المصادر، والمراجع

المُلخَص

الملخص بالعربية:

تتناول هذه المذكرة إشكالية الحرية في سياق التحولات الراهنة التي فرضتها الرقمنة والذكاء الاصطناعي، مركزة على تأثيرهما العميق على مفهوم الخصوصية الفردية. ينطلق البحث من تحليل تاريخي وفلسفي لمفهوم الحرية والحداثة، لينتقل إلى دراسة آليات المراقبة الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي في جمع البيانات وتحليلها. تسعى الدراسة إلى كشف التحديات الجديدة التي تواجه الاستقلالية الذاتية والأمن السيبراني، مع مناقشة الأبعاد الأخلاقية والقانونية والاجتماعية لهذه التحديات، كما تستعرض المذكرة المقاربات الفلسفية التي تعالج صراع الهويات في ظل التقنيات الحديثة، مقدمة قراءة نقدية لمفاهيم مثل "الذات السائلة" و"المجتمع الاستهلاكي". تهدف النتائج إلى تسليط الضوء على ضرورة إيجاد توازن بين الابتكار التكنولوجي وصيانة الحقوق الأساسية، واقتراح حلول لمواجهة المخاطر المحتملة على حرية الفرد في العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الحرية، المراقبة الرقمية، الذكاء الاصطناعي، الخصوصية، الأمن السيبراني، الأخلاق الرقمية، الحداثة، الهوية، المجتمع السائل، الحقوق الرقمية.

Abstract :

This dissertation addresses the fundamental issue of freedom within the transformative landscapes shaped by digitalization and artificial intelligence, focusing specifically on their profound impact on individual privacy. The research commences with a historical and philosophical analysis of the concepts of freedom and modernity, subsequently advancing to examine the mechanisms of digital surveillance and artificial intelligence applications in data collection and analysis.

The study aims to uncover the novel challenges confronting personal autonomy and cybersecurity, concurrently discussing the ethical, legal, and social dimensions of these challenges. Furthermore, the dissertation reviews philosophical approaches that engage with the conflict of identities in the context of modern technologies, offering a critical interpretation of concepts such as « liquid self » and « consumer society. » The findings seek to highlight the imperative of achieving a balance between technological innovation and the safeguarding of fundamental rights, and to propose solutions for mitigating potential risks to individual liberty in the digital age.

Keywords : Freedom, Digital Surveillance, Artificial Intelligence, Privacy, Cybersecurity, Digital Ethics, Modernity, Identity, Liquid Society, Digital Rights.